الإمام الحسن
صفحات

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: صلح الإمام الحسن
تأليف: الإمام الخامنئي
ترجمة: أحمد عباس المنصوري
تصميم الغلاف: أحمد يونسي
الطباعة: الأولى، ٢٠٢٣م
نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام
البريد الإلكتروني: mediaalwafa @ gmail.com

دار الوفاء للثقافة والإعلام

الموقع الرسمي

daralwaffa

٠٠٩٨٩٣٣١٠٧٢٤١٢

الفهرس

مقدمة الناشر ٧

المقال الأول: حقيقة صلح الإمام الحسن عليه السلام

حرمة الهروب أثناء جهاد الأعداء إلاّ بهدف تعزيز القوى ١١
صلح الإمام الحسن عليه السلام من أكثر الموضوعات تعقيداً في تاريخ الإسلام ١٢
أنواع الأحداث التّاريخية المبهمة ١٢
١- إبهام بسبب تقادم الزمان والتّحريف ١٣
٢- إبهام في زمن الواقعة واتّضاحه في الأزمنة اللاحقة ١٣
إبهام أسباب صلح الإمام الحسن عليه السلام حتى بالنسبة لمعاصريه ١٣
دور المنصور العباسي في زيادة الإبهام حول صلح الإمام الحسن عليه السلام ١٤
هدف المنصور من الافتراء على الإمام الحسن عليه السلام ١٥
تفسير كلمة الصلح بالاستسلام سبب القراءات الخاطئة لصلح الإمام الحسن عليه السلام .. ١٧
القراءة الصحيحة لبعض علماء القرن الثالث عن صلح الإمام الحسن عليه السلام ١٨
سبب نزاع الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية وجذوره ١٨
جهوزية جيش الإمام الحسن عليه السلام بعد الوصول إلى الحكم ٢٣
عزم الإمام الحسن عليه السلام على محاربة معاوية حتى النصر ٢٤
تفاوت جند الإمام الحسن عليه السلام مع جند معاوية ٢٤
انتهاج معاوية لسياسات غير إسلامية ٢٧
التزام الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام بالأحكام الإسلامية ٢٧
كذبة ذكاء معاوية ودهاؤه السياسي ٢٩
صعوبة الأوضاع واشتداد الفتن في عصر الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام ٣٠
أسباب انهيار [حكومة] الإمام الحسن عليه السلام ٣٦
استحالة انتصار الإمام الحسن عليه السلام على معاوية ٤٠
الإمام الحسن عليه السلام أمام خيارين صعبين ٤١

مضار اختيار الإمام الحسن عليه السلام للحرب ٤٢
الإمام الحسن عليه السلام أشجع الشخصيات عبر التاريخ ٤٣
عدم الحاجة لإثبات عدم خوف الإمام الحسن عليه السلام من الموت بالوثائق التاريخية ... ٤٦
الوثائق التاريخية على شجاعة الإمام الحسن عليه السلام ٤٧
جهاد جميع الأئمة عليهم السلام خلال مدة ٢٥٠ عام من الإمامة..... ٤٨
السبب الأساسي في موافقة الإمام عليه السلام على إيقاف الحرب ٤٩
ظلامة الإمام الحسن عليه السلام ومحنته بعد الموافقة على إيقاف الحرب ٥٠
صلح الإمام الحسن عليه السلام مقدمة لجميع الثورات من بعده..... ٥٠

المقال الثاني: مكانة الإمام الحسن عليه السلام الرفيعة في جهاد الأئمة طيلة ٢٥٠ عاماً

دراسة سيرة الإمام الحسن عليه السلام من جانبين ٥٥
إثبات جهاد الأئمة المستمر طيلة ٢٥٠ عاماً من الإمامة ٥٧
فترة الإمامة بعمر إنسانٍ عاش مئتين وخمسين عاماً..... ٥٩
اختيار تكتيكاتٍ مختلفة خلال مئتين وخمسين عاماً من الإمامة ٦٠
نظرة سريعة على تدابير الإمام السجّاد عليه السلام ٦٢
إجراءات الإمام الباقر عليه السلام ٦٨
إجراءات الإمام الصادق عليه السلام ٧٠
مواجهات الإمام الكاظم عليه السلام الأكثر شدة مع الجهاز الحاكم ٧٣
ضرورة معرفة سيرة الأئمة عليهم السلام..... ٧٦
عصر آخر خمسة أئمة عليهم السلام مرحلة تعاظم قدرة الشيعة..... ٧٧
بداية التنظيمات الشيعية السرية منذ زمن الإمام الحسن عليه السلام ٨٠
الكنايات في تعابير الإمام الحسن عليه السلام حول أسباب الصلح ٨٢
سبب اختيار الصلح من طرف الإمام الحسن عليه السلام ٨٤
عداوة معاوية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ٨٩
إدانة معاوية بمضمون صلح الإمام الحسن عليه السلام ٩٠
بعض بنود الصلح ٩١
«وقف إطلاق النار» تعبيرٌ مناسب أكثر من الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية..... ٩٢
فوائد وقف إطلاق النار بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية..... ٩٣

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أفضل الصلاة والسلام على محمدٍ وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

في عالمنا المعاصر، تظل الشخصيات العظيمة والأبطال التاريخيين محط إعجاب وتقدير الجميع. ومن بين هؤلاء الشخصيات العظيمة هم المعصومين عليهم السلام، حيث يبرز من بينهم الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لعب دورًا بارزًا في تطور الأمة الإسلامية.

ومن أجل إبراز أهمية وحقيقة صلح الإمام الحسن، والتعريف بمكانته الرفيعة في تاريخ الإسلام، يقدم الإمام الخامنئي ولي أمر المسلمين دام ظله المبارك، كتابًا مميزًا يحمل عنوان «صلح الإمام الحسن».

وهذا الكتاب يمثل نتاج دراسات وأبحاث متعمقة حول الحقائق التاريخية والشخصية الرائعة للإمام الحسن عليه السلام، ويسلط الضوء على أهمية الصلح الذي أبرمه الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان، حيث اعتبر هذا الصلح فتحًا استراتيجيًا يقدم حلاً عظيماً للأمة الإسلامية في ذلك الوقت الحرج.

من خلال هذا الكتاب، يعرض الإمام الخامنئي تحليلاً شاملاً لهذا الصلح ويناقش تأثيراته السياسية والاجتماعية والثقافية على الأمة الإسلامية والمستقبل الديني والسياسي للمسلمين، وبفضل منهجيته العقلانية والتاريخية، يتيح للقارئ فهمًا أعمق لحقيقة هذا الصلح، ويسلط الضوء على الحكمة والرؤية الاستراتيجية التي اتسم بها الإمام الحسن عليه السلام خلال هذا الوقت الحرج في تاريخ الإسلام.

ويعتبر هذا الكتاب مصدرًا قيمًا للمهتمين بالتاريخ الإسلامي والفكر السياسي، حيث يقدم رؤية شاملة ومعمقة لحياة الإمام الحسن عليه السلام بإلقاء الضوء على مكانته الرفيعة في التاريخ الإسلامي.

بالاعتماد على البحث العلمي والمنهجية التاريخية لدى الإمام الخامنئي دام ظله المبارك، يتوقع هذا الكتاب أن يكون مصدرًا هامًا للدارسين والمفكرين والباحثين في العلوم الإسلامية والشؤون السياسية، فضلاً عن القرّاء العاديين الذين يسعون لفهم تاريخ الإسلام وقيمه السامية.

والجدير بالذكر بأن هذا الكتاب يحتوي على محاضرتين ألقاهما الإمام الخامنئي بتاريخ ١٣ و ١٤ من شهر أبريل ١٩٧٢م؛ أي قبل ٧ سنوات من انتصار الثورة الإسلامية المباركة.

ويسرّ دار الوفاء للثقافة والإعلام القيام على هذا العمل المبارك، حيث يعتبر هذا الكتاب هو الكتاب الحادي عشر من سلسلة نهج الولاية الخاص بفكر الإمامين الخميني والخامنئي.

سائلين المولى عز وجل الثبات والاستقامة على خط الإسلام المحمدي الأصيل المتمثل في خط الإمامين الخميني والخامنئي.

دار الوفاء للثقافة والإعلام

حقيقة صلح الإمام الحسن عليه السلام

المقال الأول: حقيقة صلح الإمام الحسن عليه السلام[1]

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَروا زَحفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدبارَ ۝١٥ ومَن يُوَلِّهِم يَومَئِذٍ دُبُرَهُ إِلّا مُتَحَرِّفًا لِقِتالٍ أَو مُتَحَيِّزًا إِلى فِئَةٍ فَقَد باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾[2]

حرمة الهروب أثناء جهاد الأعداء إلاّ بهدف تعزيز القوى

المصدر القرآني للمسألة التي سنبحث فيها اليوم هو الآية: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ﴾؛ عندما يحصل اصطفاف بين جبهة الحقّ وجبهة الباطل، لا يجوز لأحدٍ [من المؤمنين] أن يفرّ من قتال الأعداء ويولّي ظهره لميدان الحرب. الإسلام في جوهره نوع من الاصطفاف بين جبهتي الحقّ والباطل، والكفر والإسلام، ولا يُجيز لأتباعه أن يولّوا أدبارهم لساحة المعركة عند مواجهتهم الأعداء، والعدّو الأصلي، أعداء الثورة والرّجعيين.[3]

---

١. بيانات سماحته في حسينية إرشاد في طهران بتاريخ ١٣-٤-١٩٧٢م

٢. سورة الأنفال، الآيات ١٥-١٦.

٣. هناك نقص في الشريط

ميادين القتال أنواع، وهذا الحكم يصدق عليها جميعًا، سواء أكانت حروب نظامية بين جيشين، أو حروب سّياسية، أو حروب فكريّة وإيديولوجيّة، فهذا الحكم عام ينطبق على كلّ هذه الحالات، باستثناء حالة واحدة: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾؛ فإذا كان التّراجع بهدف الاستدراك وتسديد ضربةٍ أقوى للعدو، عندها يحقّ للمقاتل المسلم أن ينسحب من ميدان الحرب، ليعيد الكرّة ويواجه العدوّ بأسلوبٍ أشدّ تأثيراً ويُسدّد له ضربةً أقوى؛ هذا هو روح هذه الآية.

صلح الإمام الحسن عليه السلام من أكثر الموضوعات تعقيداً في تاريخ الإسلام

كما تعرفون فإنّ بحثنا اليوم يدور حول تفسير حادثة حصلت في تاريخ الإسلام وعُرفت بصلح الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية؛ ونحن في صدد معرفة الوجه الحقيقي لهذا الصّلح وفهم طبيعة عمل الإمام، كما يليق بعظمته ومقامه.

صلح الإمام الحسن عليه السلام هو أحد عُقد[1] التاريخ الإسلامي، ولربّما يصعب أن نجد حادثة في التاريخ تُشبه هذه الواقعة من وجوه عديدة. فكثيرة هي الوقائع التاريخية التي ظلّت محاطةً بالغموض للأجيال اللّاحقة، بل وحتى لجيلها الذي عاصرها، لكن واقعة صلح الإمام الحسن عليه السلام لا تُشبه أيًّا من تلك الوقائع.

أنواع الأحداث التّاريخية المبهمة

عندما ننظر إلى مختلف الأحداث التّاريخية المبهمة نجد هذا الإبهام على أنواع:

١. الموضوع أو الأمر المبهم والمعقّد الذي يصعب حلّه.

١- إبهام بسبب تقادم الزمان والتّحريف

سبب هذا الإبهام تقادم الزمان؛ فالواقعة في ظرفها ومكانها تكون شديدة الوضوح، ومفهومة للناس، لكن مع مرور الزّمان تطالها يد التّحريف فيتغيّر شكل الحادثة؛ فينقطع حبل فهم هذه الواقعة عن الأجيال القادمة. والتاريخ الإسلامي يزخر بأمثلة من هذا القبيل؛ من ضمنها سيرة أئمّتنا -والتي ستكون موضوع محاضراتي في قابل الأيام- حيث لم تكن مبهمةً ومحجوبةً عن معاصريهم، أيّ الذين كانوا على ارتباطٍ بهؤلاء العظماء ونهلوا من نمير معارفهم وأفكارهم الصافي؛ بل أيدي الظالمين هي التي حرّفت هذه السّيرة فصرنا اليوم لا نعرف أئمّتنا حقّ المعرفة.

٢- إبهام في زمن الواقعة واتّضاحه في الأزمنة اللاحقة

هناك نوعٌ آخر من الإبهام التّاريخي للواقعة لم يحصل بسبب تقادم الزمان؛ بل لعدم فهم معاصريها لها بشكل جيد، ولكن بعد العهد بها وظهور أفكار نيّرة وتوفّر مناخ بحثي مناسب، كشف عن حقيقة الواقعة، وتسنّى للأجيال اللاحقة معرفة الواقعة على حقيقتها بخلاف الأجيال المعاصرة لها. وهذا نوع آخر من الإبهام حصل في بداية الأمر واتّضحت حقيقته في آخره.

إبهام أسباب صلح الإمام الحسن عليه السلام حتى بالنسبة لمعاصريه

واقعة صلح الإمام الحسن ليست من أيٍّ من النّوعين أعلاه. ففي بداية حدوثها، كانت مجهولة لجميع الذين تعاطوا معها. فهذا حجر بن عديّ يسأل الإمام لماذا صالحت؟ ورجل حديدي مثل عدي بن حاتم يسأل [أيضاً] لماذا صالحت؟ أصدقاء الإمام والمقرّبون منه عاتبوه بسبب

الصّلح. متى؟ أثناء وقوع الواقعة. إذاً في زمانها كانت المسألة مبهمة لكثير من الناس، إن لم نقل للجميع.

دور المنصور العباسي في زيادة الإبهام حول صلح الإمام الحسن عليه السلام

على مرّ التاريخ وكلّما تقادم الزمان على هذا الحدث، اشتركت أيدٍ كثيرة -سواء أيدي الأعداء أو الأصدقاء- في زيادة شربكة هذه العقدة.

العدو المنصور العباسي مثلاً، خليفة زمانه المقتدر، والذي انتصر على بني أميّة بادّعاء النسب الهاشميّ والذي كان يرتوي من نبع الصلح في الحقيقة، فلو لم يكن صلح الإمام الحسن عليه السلام، لما كانت واقعة كربلاء، ولو لم تكن واقعة كربلاء، لم تقع جميع الثورات التي عرفناها إلى الآن حسبما يبدو من ظاهر الحسابات التّاريخية، والله أعلم على أيّ حالٍ كانت الدنيا وبأيّ شكل. وهذا هو الموضوع الذي يجب أن نتطرّق إليه اليوم. المنصور العباسي نفسه وحكومته وسلطته التي اغتصبها كلها بنحوٍ أو بآخر من نتائج صلح الإمام الحسن عليه السلام. لقد ثار بنو العباس باسم بني هاشم وبحجّة الثّأر لدم الحسين عليه السلام، وأطاحوا بحكومة الجبر والطّغيان الأمويّة، لكن عندما وصل إليهم الحكم بدل الغاصبين الذين سبقوهم، استعملوا نفس الأساليب السابقة في الحكم.

الإسلام لا يعادي الفرد؛ والتّشيع أيضًا لا يحارب الفرد؛ بل يحارب النّمط، يحارب الفكر. بنو أميّة وبنو العباس من وجهة نظر منطق الإسلام، وفريق الشّيعة التّابع للإسلام وأصدقاء وحماة الإسلام الحقيقي، هؤلاء لم يكن لديهم مشكلة معيّنة مع بني أميّة؛ بل كانوا يخالفون نهجهم في الحكم وفي بناء المجتمع، وفي إدارة الناس، كانوا يخالفون هذه القضايا؛ بنو أمية وبنو العباس -هذه الألقاب- ليست مطروحة،

لذلك حاربوا المنصور العباسي وأخيه السّفاح ثم حاربوا أبناءه، والعجيب هو أنّ تلك الحروب كانت على يد بني الحسين -السّادات الحسينيين- من بني هاشم؛ هذه الوجوه المشرقة والمنيرة في تاريخ الإسلام وهي طبعًا غير معروفة لأكثر الناس.

عندما كان المنصور العباسي يريد أن يتعرّض لأولاد الإمام المجتبى عليه السلام، كان يقدح في الإمام الحسن عليه السلام [قائلًا]: «وأمّا حسنهم». في خطابٍه مجموعةٍ من الخراسانيين -ولا أعلم سبب زيارتهم للمنصور- قال: «وأمّا الحسن»، جدّ هؤلاء المتظاهرين والثوار، هؤلاء الناس الّذين لا تعُجبهم حكومتنا الآن، جدّهم الأعلى الحسن، هو من باع الخلافة بحفنة من مال الدّنيا وركن إلى زاوية بيته ولم يهتمّ سوى بشهواته النفسانية ثم مات في فراشه.[1] [وكذلك] مسألة تعدّد زوجات الإمام الحسن عليه السلام [أيضاً]، وأنّه كان مطلاقاً،[2] يتزوج ثم يطلّق، فأصل هذا الكلام يعود إلى المنصور العباسي[3] وذلك حسب بحثٍ قام به أحد الكتّاب العرب المعاصرين، واللّافت أننا نحن الجهلة نكرر اليوم نفس كلام المنصور، كلام صادر من فم عدو وخصم، وأحياناً نتصدى لتبرير هذا الكلام. هذه أيادي الأعداء، هي التي تسعى لإخفاء الوجه الحقيقي والأصيل لواقعة الصّلح عن الناس، للإيحاء بأنّ صلح الإمام الحسن عليه السلام كان بمثابة بيع الخلافة أو الهروب من ميدان الحرب أو الخوف من الموت أو حبّ الاستمرار بالحياة.

هدف المنصور من الافتراء على الإمام الحسن عليه السلام

طبعاً هدف المنصور واضحٌ تمامًا للباحث.

١. تاريخ الطبري، ج٨، ص٩٣؛ مروج الذهب، ج٣، ص٣٠.
٢. صفة الرجل الذي يتزوّج كثيراً ويطلّق.
٣. حياة الإمام الحسن عليه السلام، قرشي، ج٢، ص٤٥٢-٤٥٤.

فإذا لم يشوّه المنصور سمعة الإمام الحسن عليه السلام، فكيف سيتمكّن من مواجهة ثائر عصره الكبير -محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن المثنّى[1] وقمعه؟ كيف سيتمكّن من محاربة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى -حفيد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام-؟ كيف سيتمكّن من قمع جميع هذه السّواعد المدرّبة والقوية التي جاءت من كلّ مكان كي تنزل ضرباتٍ ساحقة على جسد حكومته الذّليلة والغاصبة؟ عليه أن يهاجم الإمام الحسن عليه السلام وهذا ما فعله. والمؤسف أنّ أيادي الأصدقاء شاركت أيادي الأعداء في هذا المجال.

لم يكن الجيل المعاصر للإمام الحسن عليه السلام قد فهم المسألة، لكن بعد ذلك عندما كانوا يسألوا الإمام فيجيبهم بما يناسب أفكارهم كانوا يقتنعون ولا يستمرّون في الاعتراض، أو على الأقل لم يكونوا يبرّرون أو يأوّلون بشكلٍ خاطئ. لكن في الأجيال اللّاحقة، لا أقول بشكلٍ عام والجميع، بل أقول في الغالب، كلّ ما قيل حول واقعة الإمام المجتبى في إطار السرد التاريخي أو كتبت الأقلام في تبرير المسألة، لم يضف شيئاً عليها سوى الإبهام وتشويه سمعة الإمام المجتبى عليه السلام النقية.

هذه هي المسألة. لقد وصل الأمر في زماننا إلى حدّ أنّ أحد المستشرقين والذي يتظاهر في كلامه أنّه غير مغرض ومحايد، وأنّ المسألة بين معاوية والحسن عليه السلام بالنسبة له غير مطروحة من زاوية طائفية ومذهبية، وإذا به هو أيضاً يضيف إلى العقد عقدةً أخرى ويطرح

١. محمد بن عبدالله المحض (١٠٠-١٤٥ه) من أحفاد الإمام الحسن عليه السلام والمعروف بصاحب النفس الزكية. قام المنصور الدوانيقي هو وجماعة من بني هاشم بمبايعته هو وأخيه إبراهيم. كان يعيش في الخفاء طيلة مدة حكم السفاح. في زمان المنصور قام الأخوين. انطلق محمد إلى المدينة واستشهد على يد جيش المنصور في مكان يدعى أحجار الزيت.

افتراءات. يكتب «فيلب حتي[1]» أموراً عن الإمام المجتبى عليه السلام في تاريخ العرب مجرّد ذكرها ونشرها مدعاة للخجل، والعجيب أنّ مترجم الكتاب بدلاً من التنويه بأنّ الكاتب غير مطلع على جميع المصادر أو إنّها لم تكن في متاحة له، يكتب هامشاً يثبّت فيه الملاحظة فيزيد الطين بلّة.

تفسير كلمة الصلح بالاستسلام سبب القراءات الخاطئة لصلح الإمام الحسن عليه السلام

نحن اليوم نواجه هذه المسألة، فقد أصبح صلح الإمام الحسن عليه السلام مشكلةً ويجب حلّ هذه المشكلة والجميع يريد أن يفهم ما الذي حصل؟ ما الذي حصل حتى اتّفق الحسن عليه السلام الإمام الحق، وخليفة علي عليه السلام الكفء وخليفة النبي صلى الله عليه وآله، مع معاوية بن أبي سفيان -خلف أبي سفيان بحقّ- على هذه المسألة أي مسألة الحكومة؟ نستشف من مجموع القراءات والاستنتاجات المطروحة لهذه المسألة أنّ المشكلة تكمن في أنّ مفهوم الصلح في عبارة صلح الإمام الحسن عليه السلام عند القرّاء عمومًا أو معظمهم يعني الاستسلام والتسليم.

يظنون أنّه صلح أو استسلام الإمام الحسن عليه السلام أمام معاوية أو تسليم الإمام الحسن لمعاوية بن أبي سفيان.

ومن الواضح جداً أنّ توافق الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان إمام الكفر ليس مقبولاً لأي إنسان -فضلًا عن أيّ مسلمٍ أو شيعي- بل إن توافق هذين الإثنين ليس مقبولاً وليس مفهوماً لأيّ أحد. لكن المسألة ليست هكذا؛ فالصلح ليس بمعنى الاستسلام والتسليم. صلح الإمام الحسن بمعنى ترك الحرب لمدةٍ من الزمن، وذلك للجهوزية من

١. فيليب خوري هيتي (١٩٧٨-١٨٨٦م).

أجل توجيه ضربةٍ أقوى. صلح الإمام الحسن عليه السلام وفقًا للآية التي تليت وسمعتموها «تحرّفٌ لقتالٍ» و«تحيّزٌ إلى فئة»؛ هذا هو جوهر صلح الإمام الحسن عليه السلام. ومن خلال مطالعة الكثير من الوثائق المتاحة عن هذا الصلح يتوضّح لنا الموضوع على هذا النحو ونأمل أن يتضّح أكثر هذا اليوم لجميع المستمعين الأعزّاء إلى حدٍّ كاف.

القراءة الصحيحة لبعض علماء القرن الثالث عن صلح الإمام الحسن عليه السلام

في الأجيال السّابقة طبعاً -في القرون القريبة من حادثة الصلح- كان هناك مثل هذا الفهم تقريباً عند البعض. لذا نرى في القرن الثالث للهجرة، صدور كتابين لكاتبين مسلمين ومؤرّخين شيعيين بعنوان «قيام الحسن»[1]. عرّفوا الصّلح بمعنى القيام، بماهية القيام؛ قيام الحسن. كلا الكتابين كُتبا في القرن الثالث للهجرة. إذاً لم يكن الموضوع مخفياً عن بعض الناس تقريباً وكان هناك من يفهم قضية الصلح.

سبب نزاع الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية وجذوره

علينا أن نرى ما هو سبب النزاع بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، هل كان نزاعًا على الخلافة؟ إذا ما أخذنا هذا النزاع بمعنى النزاع بين شخصين كلّ منهما يدّعي أحقيّته في الحكومة والزعامة، فطبعًا ستظهر المشاكل التي نحن بصددها الآن، لكنّ النزاع بين الإمام الحسن ومعاوية لم يكن بين مدّعيين للخلافة؛ بل بين فكرين، كان الخلاف بين إيديولوجية ثورية تكامليّة [تهدف] إلى بناء الإنسان، وبين فكر رجعيٍّ يبرّر ويحلّل كل الأمور على أساس مصالحه الشّخصية. وبعبارة واضحةٍ جداً، وقابلةٍ للفهم في الثقافة الإسلامية، كان نزاعًا بين التوحيد والشرك والكفر

١. رجال النجاشي، ص١٦-١٧ وص٤٣٤-٤٣٥.

والإيمان؛ وهذه هي ماهية الحرب بين الإمام ومعاوية في الأساس.

إذا عرفنا طبيعة النزاع بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية على هذا النحو، سنفهم طبعاً أنّ هذا النزاع لا يعود إلى سنة أربعين للهجرة، أي سنة استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتصدّي الإمام المجتبى عليه السلام للحكم -المسألة تعود إلى نصف قرنٍ أو أكثر، فقد كانت قبل ذلك اليوم؛ أي [كانت في الأساس] بين خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وبين أبو سفيان. هذه هي الحرب التي اضطرّ الرسول صلى الله عليه وآله لخوضها لمدة ثلاثة عشر عاماً في مكة وعندما هاجر إلى المدينة وشكّل الحكومة الإسلامية ونظّم أتباعه بالشكل المطلوب، كانت هذه الحرب قائمة بين مكة والمدينة، هذه هي الحرب بين الموت والحياة وجميع آيات القرآن التي تدور حول القتال والجهاد، مصداقها العيني في ذلك الزمان هو الاصطفاف مع النبي صلى الله عليه وآله أو مع الكفار والمشركين، وعلى رأسهم وأهم أركانهم كفّار قريش وعلى رأسهم أبو سفيان؛ هذه الحرب هي نفسها.

عندما جمع الإمام المجتبى عليه السلام المجاهدين التابعين له وأرسل[1] بعضهم إلى «المسكن»[2] وأخذ معه[3] بعضهم إلى المدائن[4]، وألقى

١. مقاتل الطالبين، ص٧١؛ اختيار معرفة الرجال، ص١١٢؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٥١.

٢. المَسكِن موضع في الكوفي (الصحاح، ج٥، ص٢١٣٦) قريب من ساحل نهر الدجيل وديرِ الجاثليق. في عام ٧٢ ه ق، في هذا المكان حصلت واقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير والتي أدّت إلى قتل مصعب وقبره معروفٌ هناك. معجم البلدان، ج٤، ص١٢٥-١٢٨.

٣. الأخبار الطوال، ص٢١٦-٢١٧؛ إرشاد الشيخ المفيد رحمه الله، ج٢، ص١٠-١٢؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٤٦-٤٧.

٤. المدائن أو التيسفون، في شرق نهر دجلة في العراق، عاصمة ملوك الساسانيين في إيران، والتي سيطر المسلمون عليها عام ١٦ للهجرة. بقايا قصر أنوشيروان في هذه المدينة، هي مكان دفن صحابيين كبار مثل سلمان الفارسي. راجع: معجم

علـى الجيـش خطبـة حثّهـم فيهـا علـى القتـال، فـي الحقيقـة كان ذلـك استمراراً للعمـل الـذي قام بـه والـده أميـر المؤمنيـن عليه السلام مـع هـذا الفريـق وأسـلاف هـذا الفريـق و[قام بـه] قبلـه النبـي. لـم يكـن عمـل الإمام المجتبـى عمـلاً جديـداً أي تعبئـة الجيـش وقتـال معاويـة. إنّ الانتقـاد الـذي وجهـه بعـض المؤرّخيـن البسـطاء -إذا لـم نقـل المغرضيـن- إلـى الإمام المجتبـى بأنّـه لـماذا خـرج الإمام المجتبـى مـن الكوفـة بمجـرد حصولـه علـى الخلافـة وبيعـة النـاس لـه، وذهـب إلـى المدائـن وأرسـل البعـض إلـى المسـكن خـلال مـدّة لا تتجـاوز الشـهرين؛ لـماذا أسـرع إلـى حـرب معاويـة؟ وقـد أوردوا هـذا الإشـكال علـى الإمام الحسـن عليه السلام، فقـد هاجمـوا قضيـة الإمام الحسـن مـن مختلـف الجوانـب ومـن جميـع الجهـات. البعـض يقـول لـماذا ذهـب الإمام الحسـن عليه السلام إلـى الحـرب أصـلاً؟ لـماذا حـارب معاويـة؟ كان مـن الأفضـل لـه ألا يحـارب. أولئـك الذيـن يعترضـون علـى الإمام الحسـن عليه السلام بهـذا الاعتـراض لا يعرفـون التسلسـل التاريخـي لنـزاع الإمام المجتبـى التاريخـي مـع معاويـة؛ أسـاس هـذه الحـرب التاريخيـة عبـارة عـن حـرب النبـي صلى الله عليه وآله مـع والـد معاويـة هـذا؛ أي أبـو سـفيان. لقـد حـارب النبـي صلى الله عليه وآله بنـي أميـة ثـمان سـنوات؛ حـارب قريـش بقيـادة أبـي سـفيان فـي السـنوات الأخيـرة. فـي السـنة الثامنـة للهجـرة ذهـب النبـي صلى الله عليه وآله إلـى مكـة بصحبـة عشـرة آلاف جنـدي وفتحهـا، واستسـلم بنـو أميـة عنـدما رأوا جميـع طـرق الـدفاع عـن النفـس مسـدودة أمامهـم؛ أي أسـلموا ظاهريًـا. اعتنـق أبـو سـفيان وأبنـاؤه وجميـع عشـيرته الإسـلام، وطبعـاً لـم يكـن إسـلاماً، بـل استسـلاماً أمام القـوات الحربيـة. فباعتقـاده أبـو سـفيان فـإنّ الفكـر يُسـتعمل للحفـاظ علـى النفـس.

كانـت مسـألة [الحفـاظ علـى] النفـس تحظـى بأولويـة عنـد النّـاس الذيـن يسـيرون فـي الجهـة المعاكسـة لثـورة الإسـلام التكامليـة. فـإذا كانـوا يقدّسـون

البلدان، ج٥، ص٧٤-٧٥.

فردانيّتهم، أو يؤمنون بالتمايز الطبقي، أو بتفوّق العنصر العربي على الموالي، كل هذا لأجل أنفسهم ومصالحهم؛ لم تكن تعنيهم العقيدة، بل كانت العقيدة فداء النفس؛ على عكس جبهة التوحيد والإسلام حيث النفس فداءً للعقيدة والفكر، والأصالة للعقيدة. لذا عندما وجدوا أنفسهم محاصرين من قبل جيش النبي، وشعروا أن لا مفرّ أمامهم، اضطروا للاستسلام؛ كانوا إيمانهم ظاهري، بينما قلوبهم ممتلئة بالحقد على النبي وتوّاقة للانتقام. لا أظنّ أنّ هناك في التاريخ من يجرؤ ويدّعي بأنّ أبا سفيان آمن للحظة بالنبي صلى الله عليه وآله بالمعنى الواقعي للإيمان. نعم، انبرى أشخاص عبر التاريخ للدفاع عن معاوية وغير معاوية، بل وحتى عن يزيد، بغية دمجهم بالمسلمين، لكن لا يمكن ذكر هذا الكلام عن أبي سفيان، لا يمكن ذلك أبدًا.

عندما وصل عثمان إلى الحكم، كان الرجل العجوز -أبو سفيان- قد فقد بصره، لكنه كان مثل قائدٍ معنوي وحقيقيّ لبني أمية. وقد قال في إحدى الخلوات أنّ الحكم قد وقع في أيدينا؛ ما حاربنا محمداً لأجله لسنين، صار الآن بأيدينا؛ حذاري أن تضيّعوه، حافظوا عليه ليكون دولة بينكم.[1] ذهب إلى قبر الحمزة سيد الشهداء؛ أي الشخص الذي استشهد في حرب أحد -وحرب أحد هي الحرب التي قادها أبو سفيان بنفسه وكان القائد المباشر لها- وقال: «يا أبا عمارة»؛ وضرب بقدمه على القبر، يا أبا عمارة -وهي كنية حمزة- الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم، ويقصد حكومة عثمان.[2] فهنا حصلوا على ما يريدون. والمقصود هو أنه لا يمكن القول أنّ أبا سفيان أسلم بالمعنى الواقعي، بل استسلم كي تسلم روحه. إلاّ أنّ شكل العمل تغيّر؛ ففي السابق كانوا

١. أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢؛ مروج الذهب، ج٢، ص٣٤٢-٣٤٣؛ بحار الأنوار، ج٣١، ص١٩٧.

٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٥، ص١٣٦؛ بحار الأنوار، ج٣٣، ص٨٩.

يواجهون الإسلام ويقفون ضده بشكلٍ علني ويحاربون الإسلام بلا مواربة؛ مثل حرب أحد. لكن لاحقًا، عندما تم التعريف عن بني أمية على أنهم خلفاء النبي في المجتمع الإسلامي لم يعد هناك معنى للحرب العلنية مع الإسلام؛ فكانت الحرب النهائية تحت قناعٍ من الصداقة وطلب الخير.

يزيد بن أبي سفيان وأخ معاوية الأكبر، أحد الجنود الذين شاركوا في حرب الشام أو أحد القادة، ثم تولّى حكم تلك المنطقة، وحصل على دعم الخلفاء وحكم لمدّةٍ من الوقت من دون منازعٍ أو معارض، وفعل ما يريد لتطوير فكره الرّجعي والشركي، وسعى لسيادة فكر معاوية في الشام، وكانت سياسة معاوية تقوم على نفي الأحرار المتنوّرين من حوله ومن عاصمة حكومته. لم يكن يسمح لأيّ شخصٍ واعٍ بالتواجد في المجتمع الذي يحكمه. لقد رأيتم كيف نفى[1] أبا ذر، وبعد استشهاد الإمام المجتبى عليه السلام كان يتشاور مع مستشاريه بشأن الإمام الحسين عليه السلام، وكان يعتقد بضرورة تنفيذ نفس الأسلوب معه، أي أُشير عليه بذلك، وهو أيضاً وافق بوجوب إبعاد الإمام الحسين عليه السلام عن مقر الخلافة ونفيه إلى مكان بعيد.[2]

هذه الحرب حرب بين الحق والباطل؛ بين الإسلام والكفر، بين التوحيد والشرك، بين الفكر الإسلامي الثوريّ والفكر الأموي المناهض للثورة. في السابق كانت المدرسة النبوية في مقابل المدرسة الأموية؛ لكن بعد سنوات صارت المواجهة بين المدرسة العلوية والمدرسة الأموية، وعندما حارب أمير المؤمنين عليه السلام معاوية، كانت حرب التوحيد ضد الشرك. الإسلام والإيمان اللّذان يحاربان الكفر، وكأن حروب زمن

١. انساب الأشراف، ج٥، ص٥٤٢-٥٤٣؛ أمالي شيخ مفيد رحمه الله، ص١٦١-١٦٥؛ بحار الأنوار، ج٢٢، ص٤١٤-٤١٦.

٢. أخبار الدولة العباسية، ص٨١-٨٣.

النبي صلى الله عليه وآله تتكرر. وعندما وصل الدور إلى الإمام المجتبى عليه السلام فيما بعد، تكرّر المشهد نفسه؛ مع اختلاف الشخص الذي يدير المشهد. إذاً استمرّ الإمام المجتبى عليه السلام في السير على طريق جده النبي صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، ومشى على خطاهم في جميع المراحل منذ أن بدأت الحرب مع معاوية، وعبّأ جيشاً، ونظم الجنود وذهب إلى ميدان الحرب وأرسل بعض المخضرمين إلى ساحة المعركة. لذا لم تكن الحرب بين هذين الإثنين حرباً بين متنازعين على حكومة؛ بل كانت حرباً بين فكرين أو حرباً بين فكر ثوريّ ومجموعة أشخاصٍ أو تنظيم مناهضٍ للثورة؛ بدأت مثل هذه الحرب بين الإمام الحسن ومعاوية.

جهوزية جيش الإمام الحسن عليه السلام بعد الوصول إلى الحكم

والآن الإمام الحسن في مواجهة معاوية. والناس يؤمنون بالإمام المجتبى؛ أي بايعوه في الظاهر، ووافق على حكومته عامة الناس الذين كانوا يعيشون في نطاق الحكومة العلوية.

وصل الإمام المجتبى إلى الحكم في اليوم الذي كان فيه جيش أمير المؤمنين خارج الكوفة يستعدّ للانطلاق نحو الشام. فبعد أن عاد علي عليه السلام من حرب النهروان بعد القضاء على الخوارج، جهّز جيشاً -بل كان الجيش جاهزًا سلفًا من أجل هذه المهمة وحرب الخوارج، وعندما وقع حادث في تلك الأثناء حرف علي عليه السلام مسيره وذهب إلى هناك- لمحاربة معاوية[1]، وكان ذلك المعسكر موجوداً وفيه بعض الجنود، وليس بمقدور الإمام الحسن الامتناع عن الحرب وكان عليه أن ينطلق، ومتابعة ما بدأه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد فعل الإمام كل ما يجب على القائد فعله.

١. مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج٣، ص١٩٤؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٠، ص١٠٠؛ بحار الأنوار، ج٣٣، ص٣٩٤.

طبعاً هذه الخبايا التاريخية والوقائع والحوادث التي وقعت في هذا المجال، ليس هاهنا مجال بيانها وشرحها؛ بإمكان الحاضرين مراجعة الكتب ذات الصلة -عربية أو فارسية- ومطالعة تفاصيلها، [حول] إرسال القادة؛ طبعاً هذه الحوادث التاريخية تزخر بالتحريف والتزييف. هناك بعض الأمور التي تُنسب إلى الإمام لا يمكن أن تصدر عن أيّ إنسانٍ عادي وعاقل، ومن الواضح أنّ يد التحريف هي التي أدخلتها بسبب العداوة أو أهداف مغرضة وليست عادية، ضمن المساعي لتشويه صورة الصلح أكثر وإخفاء القضية.

عزم الإمام الحسن عليه السلام على محاربة معاوية حتى النصر

إذًا انطلق الإمام المجتبى عليه السلام إلى ميدان الحرب، وأرسل مجموعةً أيضاً، وصار الإمام المجتبى عليه السلام في مقابل معاوية وجهًا لوجه.

وتموضع خيرة جند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام -في حدود عشرة آلاف أو إثني عشر ألف والخلاف كبيرٌ في هذه المسألة- تحت سماء المسكِن في مقابل جيش معاوية. الإمام المجتبى كان عازم على الحرب حسب ظاهر الأمر. لا يوجد أيّ ترديد في الحرب في كلمات الإمام المجتبى وخطاباته التي يُلقيها، أراد الاستمرار في الحرب حتى النصر، فكلّ شيء يدلّ على عزم الإمام على الحرب، ثم أرسل خيرة الجنود واستقروا مقابل جيش معاوية.

تفاوت جند الإمام الحسن عليه السلام مع جند معاوية

كانت الظروف الموضوعية للحكومتين والمنطقتين التي جاء منها الإمام المجتبى عليه السلام ومعاوية متفاوتة تمامًا ومختلفة. بعض الأمور الموجودة في المجتمع الذي يحكمه الإمام الحسن عليه السلام، لو وُجدت في أيّ مجتمع آخر وتحت ظلّ أيّ حكومة لتسبّبت بشللها. في المقابل،

فإنّ المجتمع الذي يحكمه معاوية فيه بعض الميّزات التي تؤدي إلى الانتصار والظّفر أينما وُجدت.

يصف الكاتب العربي المصري -عباس العقاد[1]- حكومة علي عليه السلام ومعاوية على هذا النحو: «بعد موت عثمان حكم معاوية في منطقة لا يوجد فيها أيّ خلاف وكان الجميع متحدّين فيها قلباً ولساناً. وحكم علي عليه السلام في منطقة لا يوجد فيها أيّ اتّحادٍ واتفاقٍ مطلقاً، بل يسودها الاختلاف بالكامل»[2].

فمن الناحية الجغرافية حكم معاوية بلاد الشام؛ أي المكان الذي يقع بين الشام والحكومات الخارجية -حكومة الروم الشرقية، ومصر وشمال أفريقيا-، من جهة، وتقع الكوفة بينه وبين فارس من جهة أخرى.

بعد معاوية بسنوات، لم تحصل أيّ مواجهة بين حكومة الروم الشرقية والشام، لأنّ حكام الروم الشرقية من الشمال أيضاً -من جهة القسطنطينية- لم يكونوا يفكرون أبداً بمواجهة الشام. كان الوضع على نحوٍ جدير نوعمّا بالرجوع إليه، وطبعًا دراسته في الوقت المناسب، فعندما واجه الروم المسلمين في الشام، هزموا بشكلٍ جعلهم لا يفكرون بالعودة إلى منطقة الشام وفلسطين أبداً؛ لم يظنوا بأنهم سيعودون إلى الشام. تلك الجملة التي قالها إمبراطور الروم أثناء خروجه من الشام، عندما كان يودّع سوريا، سجّلها التاريخ كما هي[3]. وهذا ما كان دائمًا؛ لسنواتٍ لاحقة وفي عهد حكومة بني أمية، كلّما حصلت مواجهات بين الروم والمسلمين،

---

١. عبّاس محمود العقّاد (١٨٨٩-١٩٦٤م) أديب وشاعر وصحفي مصري، كان عضوًا في مجمع اللغة العربية في مصر.

٢. عبقريّة الإمام علي عليه السلام، ص ٥٤-٦٢.

٣. التنبيه والإشراف، ص١٣٥؛ البدء والتاريخ، ج٥، ص ١٨٤-١٨٥.

كان الرومان يفرّون من ميدان الحرب لأقل سبب كأن يروا حلماً، أو يتطيروا، أو يتفألوا بفألٍ سيء؛ لهذا لم يواجهوا المسلمين أبدًا. لذا، كانت الشام تعتبر منطقة مستقرة أمنياً من ناحية التحركات الخارجية.

وفي الطرف المقابل الكوفة، كانت فيها جماعات مختلفة، بعضهم مواطنين؛ والبعض الآخر مهاجرين جاؤوا من المدينة، أو مع أمير المؤمنين عليه السلام من الحجاز إلى الكوفة؛ وفئة جاءت من الأطراف إلى الكوفة بعد أن صارت مقر الخلافة وصارت تعتبر مركزاً وعاصمةً وازدهرت أوضاعها، وذلك بمقتضى فطرة الناس الطبيعية حيث يرغبون دائماً بالعيش في المراكز والمدن الكبيرة؛ والبعض جاء من الشام بشكلٍ مدروس وسكنوا في الكوفة، وكان فيها فئة تُعدّ طابوراً خامساً لمعاوية داخل مجتمع الكوفة؛ فإن رشاوى معاوية وإغراءاته، وسخاءه الذي لا حدود له وهذه لها قصة يطول شرحها، كلّ هذا أدّى إلى ارتباط هؤلاء الناس بالشام من داخل المجتمع الكوفيّ وفي ظلّ حكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام. كان مجتمعًا مضطربًا.

من ناحيةٍ أخرى كانت للشام ميزة -ليس من ناحية طريقة التفكير الإسلامية- بل ميزة عينية وخارجية، أمرٌ لا يمكن تجاهله وهو: لم يكن هناك غير العرب في الشام؛ أي لم يكن هناك غرباء من خارج المنطقة، كان أهالي الشام عربًا، لذا كانت الروح العروبيّة هي الطاغية. أولئك الذين كانوا على ارتباطٍ مباشر بجهاز الخلافة من داخل الشام، كانوا عربًا. وهكذا خلقت العصبية العربية نوع من الوحدة والتعاضد بينهم؛ بينما لم يكن الأمر على هذا النحو في الكوفة. كان هناك الكثير من الفرس في منطقة الكوفة والذين يُصطلح عليهم بـ «الموالي» وكانوا يرون أنّ لهم حقوقًا في المجتمع، وهكذا كان وهو أمرٌ صحيح؛ فكانوا يُبدون آراءهم، ويعبّرون عنها، وكان أمير المؤمنين عليه السلام ينصت إلى آراء

جميع الناس عملًا بالسيرة الإسلامية، ويعمل بموجبها، كان يسمع لكلام هؤلاء[1] وكان هذا يؤدي بشكلٍ طبيعي، إلى انعدام الشعور بالانسجام بين الموالي والعرب كما هو عليه الحال في الشام.

انتهاج معاوية لسياسات غير إسلامية

من ناحية كان معاوية يستعمل أساليب غير منسجمة تمامًا مع المفاهيم والقيم الإسلامية، بينما لم يكن الإمام علي عليه السلام ومن بعده الإمام الحسن عليه السلام ليستعملا هذه الأساليب. كان معاوية سخيًّا حسبما يقول المؤرخون ويقول أحد الكتاب العرب حول سخاء معاوية: كان معاوية سخياً نعم، لكن في الأمور التي لو كان الإنسان يملك القليل من الدين أو الشرف لما رضي بهذا السخاء. أي أنه كان حاضراً لأن يتخطّى شرفه ويدوس عليه بسهولة، ومستعداً لتجاهل جميع القيم الإسلامية، فكان سخاؤه بهذا المعنى. كان يهب الأموال جزافًا، أموال بيت المال طبعًا، لأنّه في الأساس لم يكن لدى معاوية موردًا آخر لبذل المال، كانت جميع مصارفه لدعم حكومته وسلطته.[2]

التزام الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام بالأحكام الإسلامية

لكن في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام أي في نظام الحكومة العلوية -حيث شأن الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام شأن واحد لا يتجزّأ- هذه

---

١. بعض الأدلة والشواهد على هذا الأمر:
ألف) تعيين عامل للموالي: وقعة صفين، ص١٤٩-١٥٠.
ب) متابعة شكاوى الموالي: الكافي، ج٥، ص٣١٨-٣١٩.
ج)الوصية بالتعامل الحسن مع الموالي: بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣١٩.

٢. عبقريّة الإمام علي عليه السلام، ص٥٥-٥٨.

المسائل ليست مطروحة في الحكومة العلوية؛ ... طلحة والزبير والكثير من الرؤوس الأخرى ابتعدوا عن الإمام علي عليه السلام وتركوه لوحده بسبب هذه العدالات[1]. ابن عم أمير المؤمنين وتلميذه الخاص[2] والمسلم المشهور بسمعة جيدة في المجتمع الإسلامي، أعني عبد الله بن عباس -الراوي المعروف الذي ملأ اسمه كتب الحديث الشيعية والسّنية، أحد الشخصيات المغشوشة والمشبوهة في التاريخ- ضاق ذرعًا بعلي عليه السلام ولم يتحمّل عدله فتركه وذهب إلى المدينة أو مكة[3] للحصول على حياةٍ مرفّهة، وانكبّ على تدوين أحاديثه وواصل زهده وعبادته. لقد تعب أصدقاء علي وأعداؤه من الزهد الذي يعيشه وعدالته في تقسيم المال العام ولم يتحملوه.

حسناً هذا معنى الالتزام بالأصول. معاوية لم يؤمن من الأساس بتلك الأصول كي يلتزم بها. لكن في حكومة أمير المؤمنين والإمام الحسن، الأصول محترمة، بل وتطبّق بدقة وصرامة؛ وهذا فرق آخر بين هنا وهناك. لقد كان معاوية شخصاً مرائياً، يعمل شيئًا في الخفاء ويُظهر عكسه أمام الناس، لقد كان الإمام الحسن منزّهًا من هذه الرذيلة المشؤومة ومن الرياء، وظاهر قضاياه [وتصرفاته] كان اتباعًا لما هو صحيح وتقتضيه المصلحة، كان الناس يعرفون ويفهمون ذلك. لقد كانت تقوى الإمام الحسن والتزامه بالأصول شديدة لدرجة أنّ البعض اعتبروه

١. المعيار والموازنة، ص١١٢-١١٤؛ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ص٩٤-٩٥؛ بحار الأنوار، ج٢٩، ص٣١.

٢. أمالي الشيخ المفيد (رحمه الله)، ص٢٣٥-٢٣٦؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١، ص١٨؛ بحار الأنوار، ج٤٠، ص١٥٧.

٣. انساب الأشراف، ج٢، ص١٦٩-١٧٦؛ اختيار معرفة الرجال، ص٦٠-٦٣؛ بحار الأنوار، ج٤٢، ص١٥٣-١٥٥.

ساذجًا]والعياذ بالله[، لكنّ المسألة ليست مسألة سذاجة. إذا كان الناس في الماضي يظنّون أنها السذاجة فاليوم يعرفون أنّها لم تكن كذلك. لقد نُعت علي عليه السلام بهذه السذاجة أيضًا، وقيل عنه هذه الأمور، لكن اتّضح لاحقًا بعد التمحيص والبحث والدقة، وبفضل تقدّم الأفكار، بأنها [أي منشأ هذه التصرفات] التزام بالأصول والمبادئ، وهي أهم شيء بالنسبة للإنسان الثّوريّ، وهكذا الأمر بالنّسبة للإمام الحسن عليه السلام.

عادةً ما ننظر إلى القضايا من بعيد ونهمل التّدقيق والمتابعة الكاملة، لهذا اعتدنا على التسرّع في إطلاق الأحكام حسب الظاهر. وفي مسألة صلح الإمام الحسن عليه السلام أحد إشكالات العمل، هو وجود الأحكام المسبقة؛ الجميع أطلقوا أحكامهم وفكّروا في الموضوع بأنفسهم وتصوّروا المسألة بشكلٍ ما وأتمّوها. يجب إزالة الأحكام المسبقة وهذه هي إحدى إشكالات القضيّة.

الإمام الحسن عليه السلام كان يعيش في ظلّ هذه الأوضاع، وهذه الأجواء الاجتماعية الملبّدة، بينما كانت الأوضاع عند معاوية جيّدة ومناسبة ومنسجمة جداً لتطوّر شخصٍ بمثل تفكير معاوية وأهدافه.

كذبة ذكاء معاوية ودهاؤه السياسي

من الجيّد أن أذكر هذه المسألة أيضاً أنّ أحد الأمور التي تؤدي إلى التشخيص والحكم الخاطئ في موضوع الصلح هو أنّه قد أشيع عن معاوية أنّه شخص ذكي جداً وداهية[1]، والقاعدة تقتضي بأنّه إذا عُرف أحد الشخصين المتنازعين بالذكاء فسيعرف الآخر بالسذاجة. طبعاً هو كذلك. عندما تسمعون بخصومة شخصين وتعرفون أو تعتقدون بذكاء

١. تجارب الأمم، ج١، ص٥٧٤؛ تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص١٨٢.

وصواب رأي وتدبير أحدهما، وإذا كنتم قد رأيتم منه فعلاً مجملاً ومشتبهاً تحملون على أساس تلك السابقة وتقولون: «إنّ هذا عملاً ذكياً، لا بدّ أنّنا لسنا مطّلعين على صوابيّة هذا العمل»، وفي النقطة المقابلة، توصف أفعال الطرف الآخر في مواجهة شخصٍ ذكي ومقتدر، بالسذاجة وقلّة التدبير؛ والحال أنّ التاريخ يرينا أنّ إشاعة دهاء معاوية، أو ذكاؤه وحدّة رأيه، ما هي إلا إشاعةً لا أساس لها من الصّحة.

لم يكن معاوية رجلاً داهية، ولم يكن رجلاً ذكياً جداً. كان يستخدم أساليب لا يعد استخدامها ذكاءً، بل قلّة ضمير. ليس من الذّكاء أن يكذب الإنسان ويفتري وأن يصل إلى مآربه من خلال هاتين الصفتين في تعامله مع شخصٍ لا يتعامل بهما. هذا لا يسمّى ذكاء وشطارة؛ هذه شيطنة، نوعٌ من الشيطنة. نعم لا إشكال في وصف معاوية بفضيلة الشّيطنة في التاريخ، لكن التّدبير والعمل على أساس حساباتٍ معيّنة تختلف ماهيته عن الشّيطنة، كما أن الذّكاء يختلف عن الشّيطنة. وفي مقابل معاوية كان الإمام الحسن عليه السلام شخصاً لا يعمل بهذه الشيطنة.

لكن تدبير الإمام الحسن عليه السلام وذكاءه وحدّة رأيه يُدهش الإنسان الذي يدقّق النظر ويفهم ويحلّل قصة الصلح جيداً، يرى أنّه عمل بشكلٍ أعمق وأروع ممّا قد يصل إليه فكر أمثال معاوية الذي لا يستطيع أن يحسب له حساباً، لقد فكّر الإمام الحسن عليه السلام وعمل.

صعوبة الأوضاع واشتداد الفتن في عصر الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام

حسناً، الآن الإمام الحسن في مواجهة معاوية، الإمام بماضيه المشرّف ونمط تفكيره -أي نمط تفكير جده النبي صلى الله عليه وآله- في ظلّ هذا الجو غير المناسب، وأنا لم أتحدث بالتفصيل عن عدم التناسب هذا وأجواء

المجتمع؛ يبدو أنّه كان عليّ أن أسهب في الشرح.

عندما فتحت جيوش الإسلام البلدان المجاورة واتّسعت رقعة الحدود الإسلامية من الناحية الجغرافية، لم يتعمّق الفكر بمقدار سعة الحدود الجغرافيّة للأسف. لقد أسلم الناس، ورضوا بالإسلام، لكن لم يكن كإسلام أبي ذر، ولا مثل إسلام الّذين كانوا تعلّموا في مدرسة قوية داخل الحجاز أو في المدينة أو في مكة؛ إنّهم أناس رأوا دينًا من بعيد وأعجبهم على أيّ حال، وجذبتهم دعوات الحرية في هذا الدين، والشّعارات الجذّابة والتي غالباً ما كانت تقترن بالعمل، فالتحقوا به [اعتنقوا الإسلام]. لكن هذا شيء، والتّعمق في العقائد والأفكار الإسلامية شيء آخر. التّواجد تحت مكبس التمارين الإسلامية الشّديدة، المشاركة في أنواع الميادين الجهاديّة الصعبة بأنواعها المختلفة والحصول على التّجارب المختلفة، وصقل النفس، مسألة أخرى، حيث كان أكثر الناس محرومين منها.

ثمّ إنّ صورة المتنازعين على الخلافة لم تكن واضحة للناس. اليوم يسهل علينا تعريف النّاس بوجه معاوية الحقيقي؛ اليوم لا يمكن لأحدٍ الدفاع عن معاوية في المجتمع الإسلامي والمعاويون مدانون في التاريخ؛ هذا يتعلّق بالحاضر، وكلّ ذلك ببركة صلح الإمام الحسن طبعاً وسنوضّح ذلك.

أما في ذلك الزمان، لم يكن الناس يعرفون معاوية كما أعرفه أنا وأنتم اليوم. في ذلك اليوم كان هناك شخصان يتنازعان على الخلافة -أقصد في زمان أمير المؤمنين، قبل الإمام المجتبى عليه السلام - حتى كان هناك شخصان يتنازعان على الخلافة في نظر عامة الناس، أحدهما صهر النبي صلى الله عليه وآله وابن عمّه -علي بن أبي طالب- والآخر هو أخو زوج النبي صلى الله عليه وآله،

والصحابي، وكاتب الوحي[1] -معاوية بن أبي سفيان- لم يكن الفرق بين معاوية وعلي عليه السلام واضحاً للناس كوضوحه لي ولكم اليوم؛ كانوا ينظرون من بعيد ويحكمون بشكلٍ سطحيّ على القضية. الفرق في أنّهم كانوا يعتقدون أنّ أهلية معاوية للحكم أقل من أهلية علي عليه السلام. كانت المسألة في هذه الحدود ولم تتجاوزها أكثر، طبعاً هذا يعود للأشخاص الذين كانوا يعيشون في مناطق بعيدة عن الكوفة؛ لم يكن الوضع على هذه الحالة مائة في المائة في داخل الكوفة وكان فيها الكثير من الناس الذين يعرفون حقيقة معاوية، لكن مع هذا كانت هناك مجموعة من الناس يحكمون على معاوية وأمير المؤمنين عليه السلام على هذا النحو.

لهذا السبب انقضت سنوات حكومة علي عليه السلام الخمس بتلك المرارة. كانت المشكلة التي يعاني منها علي عليه السلام هي هذه النقطة، لم يكن هناك كفر صريح ضده لكي يحاربه طبقًا لآيات القرآن الكريم الصريحة. كانت المشكلة التي يعاني منها علي عليه السلام تداخل صفوف الحق والباطل في زمانه. كان الناس يحكمون على الظاهر ولا يفهمون الأمور كما يجب وقد قضى علي عليه السلام مدة طويلة من عمره الشريف في تبيين الحقائق.

ففي حرب صفّين يأتي أحدهم ويقف بوجه أمير المؤمنين ويقول يا علي! لماذا تحارب هذا الفريق؛ بينما نحن نرى أنهم يصلّون جماعة، نرى أنهم يقرؤون القرآن -هذه هي مصيبة السذاجة والسّطحية- نحن نرى أنهم يتلون الأذان ويعظّمون ذكر الرسول؛ لماذا نقاتل إخوتنا المسلمين؟ ثم أرسله أمير المؤمنين إلى عمّار، وقال له اذهب وقل هذا الكلام لعمّار واسمع ما يقوله لك بدقة.[2] عندما ذهب إلى عمّار،

١. لا يعتقد سماحته بأنّ معاوية كان كاتب الوحي.

٢. جئتك لذلك فقال عمار: تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة [لي؟] - وأومأ إلى راية عمرو بن العاص ـ قاتلتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله مرات وهذه الرابعة فما هي بخيرهنّ ولا

قال لـه: أقسـم بـالله! لقـد رأيـت هـذه الرايـة، وشـعار معاويـة هـذا، ورايـة بنـي أميـة هـذه، حيـث كان نفـس الشـخص الواقـف تحتهـا اليـوم، أي معاويـة، يقـف تحتهـا فـي ذلـك اليـوم، وفـي الجهـة المقابلـة للحـرب رأيـت نفـس هـذه الرايـة المنصوبـة فـوق رأس علـي بـن أبـي طالـب اليـوم منصوبـة هنـاك ويقـف تحتهـا النبـي وكان هـذان الجيشـان يتقاتـلان تحـت هاتيـن الرايتيـن.[1] أي كان يقـول لـماذا أنـت سـاذج إلـى هـذه الدرجـة؟ لـماذا أنـت سـطحيّ إلـى هـذا الحـد؟ لـماذا لا تنظـر إلـى السـوابق؟ لـماذا لا تقـرأ الملـف [منـذ بدايتـه]، لـماذا لا تفهـم الحقائـق؟ وإلاّ فمـن الطبيعـي جـداً أن يلتحـق بنـو أميـة -أعـداء الإسـلام- بالإسـلام ظاهريـاً عنـدما لا يمكنهـم محاربـة الإسـلام بشـكلٍ علنـي، طبيعـي جـداً، يجـب أن يكـون الأمـر كذلـك، لكـن يجـب معرفـة حقيقـة الأمـر.

المشـكلة التـي واجهـت الإمام أميـر المؤمنيـن أنـه أراد أن يُعـرّف النـاس حقيقـة الأمـر؛ هـذه المشـكلة لـم تكـن موجـودة فـي زمـن الرسـول صلى الله عليه وآله؛ وهـذا هـو الفـرق بيـن زمـن الرسـول صلى الله عليه وآله وزمـن علـي عليه السلام. «ولكـن يؤخـذ مـن هـذا ضغـث ومـن ذاك ضغـث فيُمزجـان فحينئـذ يشـتبه الحـقّ علـى أوليائـه[2]» هـذا بعـضٌ مـن فضفضـة علـي بـن أبـي طالـب. يأخـذون بعضـاً مـن الحـقّ

أبرّهـنّ بـل هـي شـرّهنّ وأفجرهـنّ، أشـهدت بـدرا وأحـدا ويـوم حنيـن أو شـهدها أب لـك فيخبرهـا لـك؟ قال: لا. قال: فـإن مراكزنـا اليـوم علـى مراكـز رايـات رسـول الله صلى الله عليه وآله يـوم بـدر ويـوم أحـد ويـوم حنيـن وإن مراكـز هـؤلاء علـى مراكـز رايـات المشـركين مـن الأحـزاب فهـل تـرى هـذا العسـكر ومـن فيـه؟ والله لـوددت أن جميـع مـن أقبـل فيـه [مـع] معاويـة [ممـن] يريـد قتالنـا مفـارقا للـذي نحـن عليـه كانـوا خلقـا واحـدا فقطعتـه وذبحتـه والله لدماؤهـم جميعـا أحـل مـن دم عصفـور أتـرى دم عصفـور حـراما؟ قال: لا بـل حـلال قال: فإنهـم حـلال كذلـك أتراني بينـت؟ قال: قـد بينـت قال: فاختـر أي ذلـك أحببـت - بحـار الأنـوار، ج ٣٢، ص ٤٩٢ - المترجـم.

١. وقعة صفّين، ص٣٤٠-٣٤١؛ بحار الأنوار، ج٣٢، ص٤٩١-٤٩٢.

٢. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٥٠ (بتصرّف).

وجـزءًا منـه، ويمزجونـه مـع الباطـل؛ ويقدّمـون باطلهـم للنّـاس فـي صـورة الحـقّ فيخضـع لهـم الـرأي العـام؛ يلبسـون ملابـس الحـقّ ويأتـون إلـى ميـدان الحـرب لمواجهـة الحـقّ؛ يرفعـون المصاحـف بأيديهـم ويُحاربـون القـرآن وعلـي عليه السلام، وهـو القـرآن الناطـق، كان علـى الإمام عليه السلام أن يوضّـح هـذا للنـاس.

لقـد حـارب أميـر المؤمنيـن عليه السلام لمـدة خمـس سـنوات -إلّا بضعـة أشـهر تقريبـاً- فـي هـذه الحـرب، حـارب طلحـة والزبيـر بسـبب اختـلاف الصفـوف هـذا، أي اختـلاف الحـقّ والباطـل، وحـارب الخـوارج للسـبب نفسـه أيضـاً.

كان الخـوارج براعـم تفتّحـت مـن شـجرة بنـي أميـة الخبيثـة، وهنـاك احتـمال قـويّ بـأنّ معاويـة هـو مـن حـرّض الخـوارج أساسًـا، وأنّ رؤسـاءهم كانـوا يأخـذون الأوامـر منـه بشـكلٍ مباشـر.

حـارب علـي عليه السلام الخـوارج، واشـتبك مـع بنـي أميـة فـي حـرب صفّيـن، واضطّـر وأُجبـر علـى التّحكيـم، وحـارب قبـل هـذا طلحـة والزبيـر؛ وسـبب كل هـذه الحـروب هـو الاختـلاف فـي الصفـوف؛ لأنّ الحـقّ لـم يكـن عاريـاً أمام النـاس، ولـم يكـن بالإمـكان ظهـوره بهـذا الشّـكل.

لـم يكـن أمام علـي عليه السلام مـن مفـرّ سـوى المضـيّ فـي هـذا الطريـق، كانـت الخسـائر التـي تكبّدهـا جيـش أميـر المؤمنيـن عليه السلام فـي هـذا المجـال طبيعيّـة جـدّاً. ولـو كان الرسـول صلى الله عليه وآله موجـوداً فـي نفـس الأوضـاع، لواجـه نفـس تلـك المشـاكل، مـن دون شـك: حالـة الخلـط وسـوء الفهـم، وعـدم وضـوح الحـقّ، وعـدم تمايـز الحـقّ عـن الباطـل، وتمسّـك النـاس بشـعارات الدّيـن الظّاهريـة وتـرك أسـاس الديـن ولبّـه، والاهتـمام بالقشـور ونسـيان الجوهـر.

كان النـاس قـد نسـوا أنّ الإسـلام يعنـي التسـليم للّه دون قيـدٍ أو شـرط. نسـوا أنّ الإسـلام يعنـي اتّحـاد جميـع الطّبقـات بعضهـا مـع بعـض إضافـةً إلـى

جميع الحقوق والمزايا الاجتماعية. ونسوا أيضاً أنّ الإسلام لا ينسجم مع العنصريّة، ولا مع الاختلاف الطّبقي، ولا مع تخمة فريقٍ وحرمان آخر، لقد نسوا جميع هذه الأمور، وتذكّروا فقط أنّ الإسلام فيه صلاة، عندما يرون أنّ الصلاة موجودة، يستنتجون وجود الإسلام؛ تذكّروا أنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يأخذ الناس إلى الحج أو يُرسلهم إليه، وفي تلك الأيام كانوا يذهبون إلى الحج أيضاً، لذا كان بالهم مرتاحاً بأنّ الإسلام موجود، وهذا هو بلاء الإسلام طيلة أربعة عشر قرناً، كان المسلمون غالباً ما يواجهون مثل هذه المشاكل، كانوا قد رضوا ببعض شعائر الإسلام الظّاهرية، شعاراتٍ دون محتوى، وبعيدة عن العقل، أجسادٌ منفصلة عن الروح وقشورٌ خالية من اللّب وخاوية؛ كانوا يُطمئنون أنفسهم بهذه الأمور؛ واليوم ما تزال نفس المشكلة قائمة.

في مجتمعٍ مثل هذا، مجتمع اعتاد على النظام الطبقيّ طوال اثني عشر عاماً من حكومة عثمان، واعتاد على الرّاحة والدعة والتمييز أيضاً؛ أراد أمير المؤمنين عليه السلام أن يُطبّق حكومة النبي صلى الله عليه وآله، أراد أن يُعرّف الناس على الإسلام الحقيقي؛ وأراد أن يضخّ بين الناس روح الإسلام والتوحيد، والخضوع مقابل الله وعدم الخضوع لأيّ قدرةٍ سوى الله، لا أدري إن كنتم تُدركون مدى صعوبة هذا العمل! إنّه صعبٌ جداً! ليت الأمر تعلّق بنشر الدعوة في أوساط أناس لا يعرفون شيئاً عن روح الإسلام، ولم يسمعوا عنه شيئاً، فدعوة مثل هؤلاء الناس أسهل بكثير مقارنةً مع الناس الذين يعرفون بعض الأمور عن الإسلام، ولديهم تصوّرات خاطئة عنه، فهموا بعض المسائل من الإسلام، لكنّهم لم يفهموا كلّ الإسلام ولم يفهموا روح الإسلام، فإزالة الانحرافات واستبدالها بواقعياتٍ وحقائق أصعب من أصل إظهار الحقائق وتبيين ما هو موجود. كان عمل أمير المؤمنين عليه السلام هو هذا العمل الأوّلي، ومضت خمس سنواتٍ من حكومة

أميـر المؤمنيـن عليه السلام بالانشـغال فـي مثـل هـذه الأمـور.

أسباب انهيار [حكومة] الإمام الحسن عليه السلام

ورث الإمام الحسـن عليه السلام هـذا الوضـع، إذ، مـن ناحيـة، كان النـاس قـد ذاقـوا طعـم الرخـاء، ومـن ناحيـة أخـرى شـاهدوا مظاهـر الحيـاة الأرسـتقراطية فـي قطبيـن معادييـن للإسـلام، أي الـروم وبـلاد فارس، فمالـت الحكـومات الإسـلامية نحـو الأرسـتقراطية والتـرف وذلـك عنـدما وافـق الخليفـة الثانـي بشـكلٍ صريـح علـى عمـل معاويـة بعـدما أخبـروه بـأنّ الأخيـر يبنـي قصـراً أخضـرًا، قصـراً أرسـتقراطياً، فقـال فـي الـرد عليهـم: «ذاك كسـرى العـرب»[1] أي لا بـأس بعملـه، فيجـب أن يكـون لدينـا إمبراطوريـة عظيمـة فـي مقابـل الإمبراطوريـة السـابقة.

خلـق حـبّ معاويـة للأرسـتقراطيّة حالـة جديـدة بيـن النـاس، فتحرّكـت مشـاعر النـاس العادييـن وغرائزهـم، ودفعتهـم إلـى حـب الراحـة والرّفاهيـة واللهـث وراء المناصـب والتّنعـم بالمادّيـات.

لقـد قضـى النـاس خمـس سـنواتٍ فـي الحـروب، وهـذه مسـألة أخـرى أيضـاً، فقـد قاتـل أهـل الكوفـة وحاربـوا لمـدة خمـس سـنوات وكانـوا متعبـون، فـي مثـل هـذا الجـو الاجتماعـي، أراد الإمام الحسـن عليه السلام أن يحـارب معاويـة. لقـد ورث الإمام عليه السلام هـذا المجتمـع، مجتمـعٍ بعيـدٍ عـن روح الإسـلام، الأخيـار قلّـة فيـه والعارفـون بالإسـلام فيـه نـادرون جـداً. حكـم الإمام الحسـن عليه السلام فـي حكومـة قـلّ مـن يعـرف فيهـا عقائـد الإسـلام، وقليلـون جـداً الّذيـن فهمـوا هدفـه ورغبـوا بـه. لكـنّ معاويـة كان يحكـم مجتمعًـا يوافـق هـوى معظـم أفـراده هـواه؛ وما هـو هـوى معاويـة؟ الوصـول إلـى مالٍ أكثـر وسـلطة أكبـر،

١. انساب الأشراف، ج٥، ص١٤٧ (بتصرّف).

وتوزيع هذه الامتيازات على الأقرباء ثم أقارب الأقرباء ثم عامة الناس بالمقدار الذي يعتبره لازماً، ومن الطبيعي أن يوافق الناس على هذا الأمر، على الأقل رؤساؤهم موافقون على هذا الأمر بشدة.

ذكرت سابقاً ما قاله العقّاد من أنّ عليًا عليه السلام حكم مجتمعاً ليس فيه وفاق أو اتفاق، على عكس معاوية الذي حكم مجتمعًا خالٍ من أيّ اختلاف، هذا الوضع الذي أوجده معاوية ثمرة عشرين سنة من حكمه المستمرّ قبل ادّعاء الخلافة في تلك البلاد. من ناحية أخرى، كان معاوية يعتقد بشدّة بتأثير الرشوة فاتّخذها وسيلة ناجعة لشراء الذمم؛ لقد فهم الوضع بشكلٍ جيّد، بينما لم يكن يُعمل في حكومة الإمام الحسن عليه السلام سوى بمرّ القانون ومرّ الحق.

بالإضافة إلى ذلك، كان هناك بعض الأشخاص في صفوف الإمام الحسن ممّن تلقّى الوعود والإغراءات من معاوية لا الرّشاوي، أغراه بالزواج من ابنته أو أخته، أو بحفنة من المال، أو قطع له وعودًا بأن يولّيه على إحدى البلاد[1]. وطبعًا لا يسمح الإمام الحسن عليه السلام لنفسه أن ينتهج نفس هذه السياسة، أي، مثلًا، أن يكتب لعمرو بن العاص أنّي سأولّيك على البلاد الفلانية إن تركت معاوية، ذلك أنّه لا فرق بين معاوية وعمرو بن العاص بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام ؛ فعمرو بن العاص مثل معاوية ومعاوية مثل عمرو بن العاص. كل من يتواجد في تلك الصفوف، كل من يفكر مثلهم، حكمه واحد بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام ، والأشخاص ليسوا هم المعيار [كأشخاص] في نظر الإمام الحسن عليه السلام ، فكل من يقف ضد الحق ويغاير الحق، باطلٌ في منطق الإمام الحسن، هذه هي الظروف التي كانت سائدة في تلك الفترة.

---

١. علل الشرائع، ج١، ص٢٢٠-٢٢١؛ بحار الأنوار، ج٤٢، ص٣٣.

سنمرّ بسرعة على الأحداث التي لا أهميّة لها ونركّز على الوقائع التي يمكن البناء عليها أكثر والتي نحتاجها بشكل أكبر.[1]

كان الإمام الحسن عليه السلام يواجه هؤلاء القوم، ويواجه معاوية أيضاً، وحدثت أمورٌ في هذا السّياق وجَرَت جميعها في الجهة المعاكسة لمسير الإمام المجتبى عليه السلام، حيث انكشف ضعف عبيد الله بن عباس، وهذا الأمر لا علاقة له بالإمام الحسن عليه السلام. لقد أرسل الإمام المجتبى إثني عشر ألف جنديٍّ للقتال وعيّن لهم شورى للحرب تتألّف من ثلاثة أشخاص. عيّن في المرتبة الأولى عبيد الله بن عباس وفي المرتبة الثانية قيس بن سعد بن عبادة وفي المرتبة الثّالثة شخصاً ثالثاً، لقد أرسلهم على رأس هذا الجيش وكان هؤلاء بمثابة خواص الشيعة ضمن الجيش المؤلّف من اثني عشر ألف رجلًا المجتمعين في «مسكن».

يثبت المرحوم آل ياسين رضوان الله عليه[2] بأدلّة متعدّدة، أنه تعيّن ولزم اختيار شخصٍ كعبيد الله بن عباس لقيادة الجيش -وليس لديّ المجال الآن لذكر هذه التفاصيل[3]- لقد قُتل طفلي عبيد الله على يد معاوية وكان ذاهبٌ لمواجهة قاتل طفليه، أليس هذا جيّداً؟ أن يُرسل لقتال معاوية، شخص قُتل طفليه على يد معاوية[4] فيكون في مواجهة قاتل طفليه؟

---

١. جنابه: أنا آمل أن أعطيكم طرف خيط في موضوعنا اليوم كي تتمكنّوا من المطالعة بأنفسكم، والتفكير فيه أكثر.

٢. الشيخ راضي آل ياسين (١٣١٤-١٣٧٢ه ق) عالم، ومحقق ومؤرخ شيعي ومن الأسر المعروفة في مدينة الكاظمية. له مؤلفات متعددة في مواضيع مختلفة، حيث كان كتابه «صلح الحسن» موضع اهتمام الكثير من العلماء. ترجم قائد الثورة الإسلامية هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية عام ١٣٤٨ش.

٣. يمكن مراجعة كتاب «صلح الحسن» للكاتب الشيخ راضي آل ياسين رحمه الله عليه.

٤. أنساب الأشراف، ج٢، ص٤٥٦-٤٥٨؛ ج٢، ص٦١٤-٦١٧.

أضف إلى كونه هاشمياً، وكان هناك اختلاف دائم بين بني هاشم وبني أمية، إضافةً إلى كونه من الأقارب، فهناك اشتراك [بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام] في الفكر، وفي المدرسة، وفي المجتمع، وفي الكثير من المناسبات، هو شريكٌ في كلّ ما قد تفترضوه. لقد أرسل الإمام المجتبى هذا الشخص، لكن الضعف البشري، والخيانة، والتشكيكات التي تؤدّي إلى الخيانة ولا شيء ينقذ الإنسان من إعصار هذه التشكيكات سوى الإرادة القوية والعزم الرّاسخ الثابت. ذهبوا إلى هذا الرجل، فخُدع بالمليون درهم أو دينار التي سيُقدّمها له معاوية. فانسلّ في جنح الظلام وغادر المكان، وعند الصباح استيقظ الناس فلم يجدوا قائدهم؛ فعرفوا فيما بعد أنّ عبيد الله غادر في منتصف اللّيل[1]. تسبّب هروب عبيد الله بن عباس بأوّل انكسارٍ في معنويات جيش الإمام الحسن عليه السلام؛ وهو أخو عبد الله الذي ذكرتُ اسمه سابقاً، وهذه الأسرة من أوّلها لآخرها لم تكن مخلصة للإسلام، فأوّل هزيمة طالت جيش الإمام الحسن كانت على يد عبيد الله بن عباس.

بعدها نشر معاوية إشاعة في جيش «المسكن» الذي انتقلت قيادته لقيس بن سعد، مفادها أنّ الإمام الحسن تصالح مع معاوية وطالت معنويات الناس هزيمة أخرى؛ لظنّهم أنّ الإمام المجتبى قد وافق على الصلح، لكن هناك مجموعة لم تُصدّق ما قيل بسبب وجود بعض الأشخاص الّذين يتميزون بعمق تفكيرهم، وعلى رأسهم قيس بن سعد بن عبادة المؤمن الثوري الزاهد المتفكّر، لكن طبعًا هناك من ترك الجيش، بينما بقيت مجموعة على جهوزيّة وكانت الأكثرية. أمّا جيش المدائن، فقد كان بؤرة الاختلافات ومحور الاضطرابات وانعدام النظام في

١. مقاتل الطالبيين، ص٧٣؛ إرشاد شيخ مفيد رحمه الله، ج٢، ص١٢-١٣؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٤٧-٤٨.

جيش الإمام الحسن عليه السلام.

كلّ ما ذكرته سابقاً كان مجتمعاً في جيش المدائن؛ تلك الاختلافات المرتبطة بالعرق والعنصر والنسب التي كان لها تأثيرها من ناحية، والبعد عن مصادر الفكر الإسلامي والاكتفاء بالإسلام بشكلٍ سطحي فقط، كان له تأثيره أيضًا من ناحية أخرى، عصيانهم وعدم انسجامهم ووجود جواسيس معاوية وأتباع فكر معاوية بينهم، والخوارج الذين يحتمل كثيراً أنهم يستلهمون أفكارهم من معاوية كان لهم تأثيرهم أيضاً، وانتشرت إشاعات معاوية بأنّ الإمام المجتبى يريد أن يصالح لينتهي الأمر، فقام قيس بن سعد بالصلح، وهرب عبيد الله أيضاً؛ مما أدى إلى حصول اختلاف وانشقاق بين الناس[1].

هذه هي الطرق التي لا يستخدمها الإمام الحسن عليه السلام ولا يجب أن يستخدمها [بينما كان معاوية يستخدمها].

فمسألة الالتزام بالأصول، مسألة أعلى من جميع المصالح المؤقتة، فلا معنى لأن يقوم الإنسان -الذي يعتقد بالتوحيد كمنهج عمليّ وكأسلوب- ولو بعملٍ واحدٍ ملوّثٍ بالشّرك، فهذا تضادٌ مع الأصول، والتزام الإمام الحسن عليه السلام بالأصول لا يُجيز له استخدام أساليب معاوية التي تليق بمعاوية ولا تليق بالإمام الحسن عليه السلام.

استحالة انتصار الإمام الحسن عليه السلام على معاوية

صارت الأوضاع على نحو يتلخّص في هذه الكلمة، الإمام الحسن حيثما نظر حوله وجد أنّ احتمال النصر على معاوية لا يتجاوز الصفر. وأنا هنا مضطرّ لإحالتكم ثانيةً إلى الكتب المكتوبة في هذا المجال

١. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٥.

لإثبات هذا القسم من الأحداث. لكن حتى المؤرّخ الذي ليس لديه الكثير من عمق النّظر، [يرى] أنّه من المسلّم ومن الواضح عدم إمكانيّة التغلب على ذلك الجيش. إنّ احتمال انتصار الإمام الحسن على معاوية مع تلك المجموعة المحيطة به وإلحاق الهزيمة به يساوي صفراً، فلم يكن الانتصار ممكنًا.

الإمام الحسن عليه السلام أمام خيارين صعبين

حسناً، الإمام المجتبى عليه السلام القائد الروحي والأخلاقي، الذي يبني فكرًا، ويحافظ على المدرسة، والمسؤول الأوّل عن حفظ القرآن ومدرسة الإسلام؛ يقف على مفترق طريقين -وسنتكلّم عنهما لاحقاً وليس الآن- ويواجه هذه المسألة وهي بما أنّ الانتصار العسكري في الحرب ليس ممكناً الآن، ولا يوجد احتمال له في الحرب المنظمة بين الجيشين، فهل يُقدم على حربٍ سياسية وأخلاقيّة، ليحفظ المدرسة والخط الفكري المسؤول عنه أم لا؟ في هذه «الـ لا»، طبعاً يوجد الكثير من الطرق والاقتراحات الأخرى، لو كنتم أنتم [مكان الإمام]، ما هو القرار الذي تتخذونه أمام هذا الترديد إذا كنتم أشخاصًا ملتزمين أخلاقيًا وتتحملون المسؤولية؟ لم يكن النصر العسكري في هذه الحرب المنظمة ممكن، فهل نضع يداً على يد؟ هذا خيار في هذه القضية، هل نقتل أنفسنا ببطولة؟ وهذا يُعدُّ خيارًا آخر؛ أو ننسحب [كما تقول الآية] ﴿إلاّ متحرّفاً لقتالٍ أو متحيّزاً إلى فئةٍ﴾ لنجد طريقاً نحو النصر، وإن كان هذا الطريق لا يُعدّ نصراً أو طريقاً للنصر ظاهرياً؟

اختار الإمام الحسن عليه السلام الخيار الأخير، لأنّه وجد أنّ خسارته في الحرب العسكرية حتمية، ففضّل أن يوقف الحرب بشكلٍ ما حالياً، وأن يوقف العدوّ في المكان الذي وصل إليه، وأن يحفظ نفسه وزبدة المؤمنين في جبهة الحق والإيمان، ويدّخرهم ويخطّط لهجومٍ كبير في الفرصة

المناسبة التي يوجدها لنفسه، وهذا القدر المسلّم أصولي وأخلاقي وقد يكون عسكرياً أيضًا. لقد اختار الإمام الحسن عليه السلام هذا الطريق، اختار عملاً له فائدة طويلة الأمد وبعيدة المدى؛ لهذا السبب لم يفهم غالبية الناس -حتى أصدقاءه- ماذا فعل.

لم يفهم أصدقاء الإمام الحسن المقرّبين وأجبروا على السّؤال فيما بعد وقد أظهر الإمام الحسن رأيه وأوضحه لهم من زوايا معيّنة[1]، فلم يكن المطلب واضحاً لأحد في بداية الأمر؛ لا لمعاوية الذي كان عدواً، ولا لأصدقائه والمقرّبين منه، ولا حتى للأصحاب والأنصار القريبين.

مضار اختيار الإمام الحسن عليه السلام للحرب

نعم، كان بإمكان الإمام الحسن عليه السلام القيام بعملٍ يتناسب مع فهم الناس الأوّلي؛ فهو من أبناء بني هاشم، الذين قال عنهم الإمام السجّاد عليه السلام أن سجّيتهم الموت؛ الموت الشريف[2]، هم أولئك الذين فُتحت لهم أبواب الشّهادة ومستعدون لفداء الدين ومدرسة الإسلام بأرواحهم. الإمام المجتبى عليه السلام بهذا التاريخ العائلي -إن لم نعتبره تاريخًا فكريًا- كان من الممكن أن يُقترح عليه اقتراح في البداية: لماذا لم تذهب أنت مع هذه الثّلة القليلة لتُقاتل وتُقتل، لتستشهدوا وتكون الشهادة فخراً لكم كما كانت لأخيك الحسين عليه السلام ؟

هذا السؤال مطروحٌ في ذهن غالبية الأشخاص الذين يُناقشون

---

١. بعض الشّواهد:
ألف) (توضيح الإمام لسليمان بن صرد الخزاعي): الإمامة والسياسة، ج١، ص١٨٥-١٨٧.
ب) (تبيين سبب الصلح لأبي سعيد): علل الشرائع، ج١، ص٢١١.
ج) (خطبة الإمام الحسن عليه السلام للمعترضين على الصلح): بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩.

٢. الفتوح، ج٥، ص١٢٣؛ اللهوف؛ بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٧.

هـذه النقطـة مـن قضيـة صلـح الإمام الحسـن، نعـم هـذا عمـلٌ حماسـيّ. لـو ذهـب الإمام المجتبـى إلـى ميـدان الحـرب وأشـعل حربـاً ضاريـةً فـي ذلـك اليـوم وقُتـل هـو وأصحابـه وسـالت دماءهـم، لـكان مـن الممكـن أن ينظـر عشـرة أشـخاصٍ أو عشـرون شـخصاً أو مائـة شـخصٍ بـل وحتـى ألـف شـخصٍ بإعجـابٍ إلـى هـذه الحادثـة ويمدحـون فعـل الإمام، لكـن هـذا العمـل كان بمنزلـة القضـاء علـى مدرسـة الإسـلام بشـكلٍ كامـل.

لـو قُتـل الإمام الحسـن عليه السلام فـي تلـك الحـرب، لـكان ذلـك يعنـي انفصـال الإسـلام عـن المجتمـع البشـري إلـى الأبـد. نعـم، كان هـذا الأمـر سيُشـعر البعـض بالفخـر ويحصـل الإمام علـى تقديـر واحتـرام مجموعـة مـن النـاس فـي ذلـك الـزمان القريـب، لكـن الإمام الحسـن عليه السلام تصـرّف بشـجاعة، وتنـازل عـن التقديـر والاحتـرام الـذي كان البعـض سيكتّه لـه فـي ذلـك اليـوم، أو كان التاريـخ سيسـجّله لـه بشـكلٍ ما، مثـلاً يقـرأ أحـد الباحثيـن اسـمه فـي أحـد الكتـب فـي زاويـة مـن المكتبـة ويقـدّره، أو يشـعر باحتـرامٍ لـه؛ لقـد تنـازل الإمام الحسـن عليه السلام عـن هـذا الاحتـرام والتقديـر، وتحمّـل سـباب أصدقائـه وشـتائمهم، واعتـراض أنصـاره المقرّبيـن، وتحمّـل نظـرة الأجيـال المعوجّـة حـول الحادثـة التـي توالـت عبـر سـنين، ودفـع ذلـك ثمنـاً لحفـظ الإسـلام وحفـظ الديـن.

الإمام الحسن عليه السلام أشجع الشخصيات عبر التاريخ

أعتقـد أنّ الإمام الحسـن المجتبـى عليه السلام هـو أشـجع شـخصية فـي تاريـخ الإسـلام. نعـم، قـد تسـألون هـل هـو أشـجع مـن علـي عليه السلام وأشـجع مـن أخيـه الحسـين عليه السلام، الـذي ضحّـى بنفسـه فـي ميـدان الحـرب الدمـوي بتلـك التضحيـة العجيبـة وأودى بحياتـه؟

أنـا أعتقـد أن غانـدي أفريقيـا الجنوبيـة أشـجع مـن غانـدي الهنـد بكثيـر. لقـد تعـرّض غانـدي للضـرب على أيـدي أصدقائـه فـي أفريقيـا الجنوبيـة، تعرّض للضـرب علـى أيـدي أولئـك الأشـخاص الذيـن تحمّـل مـن أجلهـم ألـم الغربـة وألـم القتـال وهاجـر إلـى أفريقيـا الجنوبيـة، لقـد اجتمعـوا عـدة مـرات وضربـوا غانـدي، وارتفعـت أصـوات اعتراضاتهـم عليـه مـراراً بأنـك أنـت مـن تسـبب فـي حصـول هـذه الصعوبـات و..؛ برأيـي أنّ غانـدي فـي أفريقيـا أكثر إشـراقاً وشـجاعة مـن غانـدي فـي الهنـد، الـذي تهتـف الفـرق والجـماعات باسـمه.

نعـم، الشـجاعة الحقيقيـة هـي أن يُقـدم الإنسـان علـى ما يتوافـق مـع مصلحـة فكـره وإيديولوجيـة؛ حتـى لـو لـم يفهـم ذلـك أحـد. ولقـد كان الإمام الحسـن عليه السلام مسـتعدّاً للتضحيـة بنفسـه واسـمه وسـمعته فـي سـبيل المصلحة الحقيقيـة؛ كان راضيـاً أن لا يعرفـوه فـي مقابـل أن يتعرّفـوا علـى الإسـلام، وفـي مقابـل حفـظ الإسـلام. هـذه هـي خلاصـة الموضـوع بشـكلٍ عام.

هـل كان الإمام الحسـن عليه السلام يسـتطيع أن يستشـهد فـي الحـرب مـع معاوية؟ لا، لـم يكـن ذلـك ممكنـاً له.

مـن هـو الشـهيد؟ الشـهيد هـو الـذي يُضحـي بروحـه، ويسـفك دمـه، فـي سـبيل بقـاء الفكـر الـذي يحترمـه؛ هـذا هـو الشـهيد. فالحسـين بـن علـي شـهيد لأنـه قـدّم نفسـه كـي تبقـى القيـم التـي كان يحترمهـا فـي المجتمـع الإنسـاني.

شـهداء طريـق الحريـة طـوال التاريـخ، شـهداء طريـق الحقيقـة والقيـم الأصيلـة، هـؤلاء شـهداء لأنهـم كانـوا مسـتعدين لتقديـم أنفسـهم ووجودهـم وما يجعـل الإنسـان إنسـاناً، أي حياتهـم، فـي مقابـل أن يبقـى ذلـك الفكـر، كانـوا مسـتعدين بموتهـم وقتلهـم فـي سـبيل فكرهـم وهدفهـم لضـمان بقـاء الهدف.

لكـن قتـل الإمام الحسـن فـي ميـدان «المسـكن» لـم يكـن مـن هـذا

القبيل. إنّ معنى قتل الإمام الحسن عليه السلام في ميدان الحرب، هو انسحاب المنافس الوحيد لمعاوية من طريقه، انسحاب الشخص الوحيد القادر على فضح معاوية ونشر زيفه، في مقابل أساليب معاوية المبطنّة والمرائية، [فمقتل الإمام يعني] ألا يجد معاوية مثل هذا الشخص أمامه. لو ضحّى الإمام الحسن عليه السلام بنفسه، لقُتل الشخص الوحيد الذي يمكنه رفع القناع عن وجه معاوية القبيح وتعريف الدنيا على حقيقة معاوية.

ما هو تصوّرك عن مجتمع يكون معاوية على رأسه ولا يوجد فيه أمثال الإمام الحسن أو الإمام الحسين؛ أن يكون هناك شخصٌ على رأس المجتمع معارضٌ بكامل وجوده؟ معترضٌ على التوحيد الذي يعني نفي جميع القدرات سوى قدرة الله، ومخالف بشدة للوحدة الطبقية، والانتفاع العام من الفرص والإمكانات والحقوق الاجتماعية؛ يقول بأصالة وموضوعية نفسه وكل ما يتعلّق به؛ ليس لديه ذرّة إيمانٍ بالإسلام ولا يلتزم بالإنسانية بمقدار رأس إبرة وهناك فكر واحد يُكوّن جميع أساليبه، وهو الاغترار بالنفس والعجب والتعلق بها.

المجتمع الذي يرأسه هكذا شخص، دون أن يكون هناك شخص عارف بالإسلام فيه، أو لا يكون هناك ملف للثورة الإسلامية في ذلك المجتمع، شخص يمكنه فضح نقاط ضعف معاوية، وتقديمها للتاريخ، -فهي سواء وصلت إلى المجتمع في ذلك الزمان أم لم تصل، لكنها ستصل إلى الأجيال اللاحقة على الأقل- إذا لم يكن مثل هذا الشخص في المجتمع، فما هو انطباعكم عن مثل هذا المجتمع؟

كان من الممكن أن يواجه الإمام الحسن عليه السلام وضعاً مثل هذا، أي عندما كان محاصراً في المدائن، مع أصحابه ضعاف الرأي والنفوس، ومع الأعداء المتربصين الذين حاولوا اغتياله عدة مرات بل وهجموا عليه

بهدف قتله[1]، كان يمكنه في ذلك الوقت أن يصطحب مجموعة من أصحابه المخلصين وينطلق في الخفاء باتجاه «مسكن» ويقوم بهجوم مباغت مع جيشه الذي ينتظر أوامره هناك بقيادة قيس بن أسعد، يهاجمون قلب جيش الأعداء ويُقتلون جميعاً ويُقتل الإمام الحسن أيضاً. كان بإمكان الإمام الحسن عليه السلام أن يقوم بهذه الخطوة؛ طبعاً هذا عمل بمقدور الجميع فعله، لكن ما منع الإمام الحسن عليه السلام من القيام بهذا الأمر لم يكن الخوف، فالإمام الحسن لا يخاف الموت.

عدم الحاجة لإثبات عدم خوف الإمام الحسن عليه السلام من الموت بالوثائق التاريخية

انظروا، هناك مسائل لا تحتاج لأيّ سندٍ تاريخي، بل يمكن للإنسان أن يفهمها بقليل من التأمّل والتفكير. إذا أراد شخصٌ أن يعرف ما إذا كان الإمام الحسن عليه السلام يخاف من الموت أم لا، لا حاجة لوجود سندٍ تاريخيٍ يدل على شجاعة الإمام الحسن عليه السلام وأنه لا يهاب الموت. بل يكفي أن نعلم بأنّ الحسن بن علي عليه السلام من السّلالة الهاشمية، من سلالة الّذين يعتبرون الموت لعبة في أيديهم ولا يخافون منه. وهو ابن علي بن أبي طالب عليه السلام أسد الإسلام الشجاع وأسد الله ورسوله، وهو أخو الإمام الحسين عليه السلام الكبير والمطاع، هذه هي أسرته ومحتده الشريف. من ناحية أخرى، من يتنازل عن الخلافة وحكومة الإسلام ويواجه سيول الاتهامات، فهل ستغريه هذه الحياة ليرضى بمثلها ولا يفضّل الموت في سبيل فكره وعقيدته؟ إضافةً إلى هذا، إنّه يعرف معاوية أكثر من أيّ شخصٍ آخر وقد عايش هذه

---

١. بعض الشواهد:
الف) الاغتيال في معسكر المدائن: أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٤-٣٥.
ب) الاغتيال حين الصلاة: علل الشرائع، ج١، ص٢٢٠-٢٢١.

السلالة -آباؤهم وأفرادهم- ويعرف من أيّ فئة من الناس هم وأيّ طريقٍ سياسيٍ ينتهجون، إنّه يعرف بأنّ معاوية في نهاية المطاف لن يدعه وشأنه؟ هل تحتاج معرفة هذه [الأمور] إلى سندٍ تاريخي؛ يكفي أن نعلم نحن بأنّ الحسن عليه السلام من أيّ سلالة وفي أيّ زمانٍ كان يعيش.

الوثائق التاريخية على شجاعة الإمام الحسن عليه السلام

لكن توجد وثائق تاريخية على شجاعة الإمام المجتبى عليه السلام، وقد ظهرت في عدة وقائع تاريخية معروفة.

في واقعة «ساباط»[1] هذه عندما قاموا بمهاجمته، ظهرت شجاعة الإمام.[2] وفي واقعة [قتل] عثمان عندما حوصر منزل عثمان، ثبتت شجاعة الإمام بشكلٍ واضح.[3] في حروب أمير المؤمنين، ظهرت شجاعة الإمام المجتبى وعدم خوفه من الموت بل إقباله عليه بشكلٍ واضح وجلّي في جميع تصرّفاته[4]، إضافةً إلى أنّ معاوية نفسه وهو عدو الإمام الحسن كان يمتدح شجاعته.

ربما تسألون كيف تلطّف معاوية ومدح الإمام المجتبى عليه السلام؟ يوجد

---

١. ساباط اسم مدينة في المدائن يقال لها «بلاس آباد» في الفارسية. سميت ساباط على اسم ساباط بن باطا أخ نخير جان. راجع: معجم البلدان، ج٣، ص١٦٦-١٦٧.

٢. المراد من حادثة ساباط محاولة الاغتيال في المدائن، راجع: أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٤ -٣٥؛ إرشاد الشيخ المفيد عليه السلام، ج ٢، ص ٩ - ١٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٤٥ -٤٧.

٣. الفتنة ووقعة الجمل، ص ٦٤ - ٦٥؛ مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

٤. بعض الشواهد:
في النهروان: الاستيعاب، ج ٣، ص ٩٣٩.
في الجمل: مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٢١.
في صفين: بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٥٦٣.

الكثير من هذا المديح في التاريخ عن لسان معاوية وعمرو بن العاص وزياد بن أبيه وعبد الله بن الزبير وأعداء الإمام الحسن الألدّاء، عندما كانوا لا يعتبرون الإمام الحسن منافساً أو معارضاً لهم، لم يكن لديهم مشكلة في مدحه أيضاً. غالباً لا يمدح الإنسان منافسه؛ وهو غير مستعد لمدح أو تمجيد شخص يكون في الجهة المقابلة له أو يعتبره عدلاً له، لكن ليس لديه مشكلة في مدح من لا يكون في منطقته أو لا يخالفه. وهذا هو منشأ طمس ذكر المعاصرين غالباً؛ لكن يتمّ مدحهم كثيراً عندما يموتون، بسبب عدم وجود معارضة. لكن ما داموا أحياء لا يتمّ ذكرهم. معاوية لا يعرف الخسارة التي طالته بهذا الصلح؛ لم يكن يفهم أسلوب الإمام الحسن المستقبلي في مواجهته، لم يكن يدرك هذه الأمور.

لم يكن الزمن على نحوٍ يُوضّح جيداً ويُبيّن فعل الإمام الحسن، لهذا لم يكن يعلم ولم يُعد يعتبر الإمام الحسن معارضاً له، وبات مستعدّاً لمدحه ومدح شجاعته أيضاً.

فقد جاء في الرسالة التي كتبها معاوية إلى زياد بن أبيه في أحد المناسبات، يقول فيها أنّ هذا ابن من كان الموت يرافقه أينما ذهب؛ و«هل يلد الرّئبال إلّا نظيره»[1]؛ إذاً كان الإمام الحسن عليه السلام شجاعًا لا يهاب الموت، لم تكن الحياة مسألة مهمّة [بالنسبة له] لتجعله يتحمّل مثل ذلك الوضع.

جهاد جميع الأئمة عليهم السلام خلال مدة ٢٥٠ عام من الإمامة

إذاً لماذا لم يختر الإمام الحسن عليه السلام الشهادة؟ بما أنّ الخوف من الموت لم يكن مطروحاً بالنسبة له، يجب البحث عن سببٍ آخر، وهنا

١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٩٥.

تكمن النقطة الحساسة في بحثنا. وقد انتهى الوقت للأسف، سأُشير بشكلٍ مختصر وأترك باقي الموضوع للجلسة التالية. هناك سنذكر أنّ مسألة الصلح لم تكن مطروحةً لنا من وجهة النظر هذه؛ كانت مسألة أخرى مطروحة وهي اعتقادنا بأنّ أئمتنا كانوا يجاهدون.

يجب أن يكون هذا هو اعتقاد الشيعة، والتاريخ يشهد بأنّ أئمتنا كانوا منشغلين بالجهاد دائماً طوال مدة حياتهم البالغة مائتين وخمسين عاماً، وللإمام الحسن عليه السلام دورٌ أساسي وبارزٌ جداً في هذا الخط الطولي. كنا نريد أن نبيّن هذا الدور إلى حدٍّ ما. هذا هو موضوع الخطبة التالية، وسنترك باقي البحث إلى ذلك الوقت.

السبب الأساسي في موافقة الإمام عليه السلام على إيقاف الحرب

أقول هذا المطلب بشكلٍ إجمالي وهو أنّ الإمام المجتبى لم يكن مستعداً لأن يُقتل وذلك لأنّ قتله يعني فناء منافس معاوية وبمعنى إخلاء الساحة لمعاوية كي يتغطرس ما أمكنه ذلك ويفعل كل ما يحلو له، وهذا يعني فتح الطريق أمام معاوية لتغيير وجه الإسلام؛ بمعنى تسليط معاوية على بيت مال الأمة الإسلامية وأرواحها وأعراضها، وتسليط أتباع معاوية أيضاً على أرواح البشريّة وأموالها، وترك [الإمام] دوره الحساس وموقعه المسؤول، وحاشا للإمام المجتبى عليه السلام العظيم، وريث البيت النبوي والدوحة الهاشمية أن يتنازل عن مسؤوليةٍ عظيمة مثل هذه.

وافق [الإمام عليه السلام] على الصلح، كي يستطيع الاستمرار في منصبه، وتنازل عن الحرب مع معاوية وأوقف الحرب ظاهرياً، كي يستطيع البقاء في مقامه وفي عمله ألا وهو رصد الإسلام والمحافظة على القرآن وهداية أجيال التاريخ المستقبليين؛ كي يستطيع القيام بهذه الأمور في

وقتهـا وكـما يجـب.

ظلامة الإمام الحسن عليه السلام ومحنته بعد الموافقة على إيقاف الحرب

طبعـاً إنّ قبـول الصلـح كان مؤلـماً لـلإمام عليه السلام بشـكلٍ كبيـر، وفيـه الكثيـر مـن العنـاء، وفتـح عليـه الكثيـر مـن الاعتراضـات، وجعـل الكثيـر يُسـيئون الظـن بـه، لقـد تحمـل آلاماً كثيـرة لكنهـا تُعتبر ضئيلـة أمام هـذا الألـم الأول، إلا أنهـا غيـر قابلـة للتحمـل بالنسـبة للإنسـان، وفـي النهايـة قـدّم الإمام نفسـه في هـذا الطريـق وقامـوا بـدسّ السـمّ لـلإمام بعـد عشـر سـنوات[1].

كانـت هـذه الأمـور موجـودة، لكنهـا جميعـاً محلولـة بالنسـبة لـلإمام المجتبـى. مـن السـهل جـداً عليه أن يسـمع مـن أصحابه الاتهـامات والافتـراءات والاعتراضـات والانتقـادات والإشـكالات، ويسـمع السـباب مـن الأعـداء، لكنّـه عمـل بـما يمليـه عليـه واجبـه علـى أكمـل وجـه فـي تلـك النقطـة التاريخيـة الحساسـة، وسـدّ الفـراغ الموجـود فـي زمانـه، ومهّـد الأرضيـة للحـركات والثـورات والنشـاطات اللاحقـة وخلاصـة الأمـر، مهّـد لواقعـة كربـلاء.

صلح الإمام الحسن عليه السلام مقدمة لجميع الثورات من بعده

وأُكـرر أنّـه لـولا صلـح الإمام المجتبـى عليه السلام لـما كانـت واقعـة كربـلاء، ولا

١. أنساب الأشراف، ج١، ص٤٠٤؛ شرح الأخبار، ج٣، ص١٢٨؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٣٥.

واقعة «الفخ»[1]، ولا حادثة «زيد»[2]، لم تكن لتحصل جميع الوقائع التاريخية العظيمة التي قامت بها سلالة بني هاشم طوال حكومة بني أمية وبني العباس ولما كانت هذه الصفحات التاريخية المضيئة التي لكلٍّ منها دورٌ في إنارة وتبيين وجه الإسلام الحقيقي، ولكان الإسلام الموجود حالياً -إن وجد- هو إسلام معاوية، والقرآن -لو كان موجوداً- لكان قرآن معاوية، وإذا كان للإسلام نبيٌّ لعرف باسم معاوية، ولكانت باقي الأسماء أسماء منبوذة في زوايا التاريخ. هذه خلاصة للموضوع الذي سنناقشه في الجلسة اللاحقة إن شاء الله.

نسألك وندعوك اللهم باسمك العظيم الأعظم يا الله... إلهي بحق محمد وآل محمد، بيّن الحقائق لعيوننا

---

١. في ذي القعدة من عام ١٦٩ ه ق، ثار الحسين بن علي وهو أحد أحفاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، في زمان حكومة الهادي العباسي وسيطر على المدينة، ثم غادر إلى مكة واشتبك مع الجنود العباسيين في مكان يبعد فرسخاً واحداً عن مكة ويدعى «الفخ» وقد استشهد في النهاية.
راجع: تاريخ الطبري، ج٨، ص١٩٢-٢٠٣.

٢. زيد بن علي بن الحسين عليه السلام والذي كان يعيش في زمن الإمام الباقر والإمام الصادق عليه السلام، ثار ضد هشام الأموي واستشهد في أول صفر عام ١٢٢ ه ق في الكوفة على يد الجنود الأمويين، بقي جسده مصلوباً حتى بعد موت هشام، وعندما جاء الخليفة الذي يليه أنزل جسده وأحرقه.

مكانة الإمام الحسن عليه السلام الرفيعة في جهاد الأئمة طيلة ٢٥٠ عاماً

المقال الثاني: مكانة الإمام الحسن عليه السلام الرفيعة في جهاد الأئمة طيلة ٢٥٠ عاماً[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على محمدٍ وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٢]

دراسة سيرة الإمام الحسن عليه السلام من جانبين

قلنا أنّه يجب دراسة واقعة صلح الإمام الحسن من جانبين [مختلفين]. الجانب الأول مسألة تفسير الصلح؛ [أي] فهمه، فما هي المعاهدة التي عُقدت بين الإمام المجتبى ومعاوية والتي تتضمّن بنوداً

١. بيانات سماحته في حسينية إرشاد في طهران بتاريخ ١٤-٤-١٩٧٢م

٢. سورة الأنفال، الآيات ١٥-١٦

معينة وعُرفت بمعاهدة صلح الإمام المجتبى، وماذا كانت طبيعة هذا العمل؟ هل تصالح الإمام المجتبى مع معاوية، أي استسلم له؟ هل اتّفق مع معاوية؟ أم إنّ الأمر كما قال المنصور العباسي في البداية أنّه يريد الانتقام من أولاد الإمام الحسن المجاهدين والمضحّين -وقد أورد بعض المؤرخين القدامى والعديد من المؤلفين الجدد نفس هذه العبارة- حيث قال بأنّ الإمام باع الخلافة بمال الدنيا؟[1] هل هذه هي ماهية الصلح؟ أم إنّ ماهية الصلح أمرٌ آخر؟ الإمام لم يستسلم لمعاوية؛ ولم يتنازل له عن أهدافه، ولم يدر ظهره لميدان الحرب؛ بل كان الأمر شيئاً آخر، هذه مسألة.

أما المسألة الثانية -التي سنناقشها هذه الليلة والتي تُشكّل موضوع هذا اللقاء الرئيسي والأساسي- مسألة في المرتبة التالية: ما هو دور الإمام المجتبى في هذا الجهاد المستمرّ الذي شغل الأئمة طيلة مئتين وخمسين عاماً؛ ما هو موقع الإمام المجتبى في جهاد المئتين وخمسين عاماً؟ هذه المسألة أدقّ من المسألة السابقة ومجهولة بشكلٍ أكبر للأشخاص الباحثين في تلك المسألة. لقد تكلّم كثيرون حول الصلح -والكلام كان غالباً مما يعقّد المشكلة ولا يحلّها- لكن بالنسبة للمسألة الثانية؛ أنا -على وجه الخصوص- لا أعرف أحداً شرح الموضوع بشكلٍ تفصيلي وصريحٍ سوى «طه حسين»، الكاتب العربي المصري الراحل، وسأنقل لكم عبارته المذكورة في كتاب «الفتنة الكبرى»[2]. طبعاً لم أنس أنّ موضوع البارحة لم ينته بعد، وقد انتهى الوقت عند نقطة حساسة ومهمة ولم يكن هناك مجالٌ لإكمال الموضوع فتأجّل إلى هذه الجلسة. لذا، يجب أن نتطرّق إلى الموضوعين بشكلٍ ما في هذه الجلسة. وسأسعى

١. تاريخ الطبري، ج٥، ص٥٧٠؛ تجارب الأمم، ج٣، ص٣٩٩.

٢. الفتنة الكبرى، علي وبنوه، طه حسين، ١٨٩.

لإنهاء المسألة الأولى ضمن المسألة الثانية، وسأبدأ من المسألة التي كان يجب أن نبدأ بالحديث عنها في هذه الليلة، لنصل بالحديث إلى حيث تنتهي المسألة الأولى أيضاً.

إثبات جهاد الأئمة المستمر طيلة ٢٥٠ عاماً من الإمامة

في البداية هناك سؤالٌ يحقّ لكم جميعاً أن تسألوه، وأنا أعترف أنه لم تتم الإجابة على هذا السؤال بالتفصيل وبالاستناد إلى الأدلة المحكمة والوثائق التاريخية الواضحة. هذا السؤال هو: ما هو دور الإمام الحسن في مسيرة الأئمة الجهادية التي استمرّت مئتين وخمسين عاماً ضد الكفر والشرك؟ لقد سمعنا كل شيء عن الأئمة عدا أنهم كانوا يجاهدون خلال مدة حياتهم. أيّ جهاد؟ وضدّ من؟ بأيّ وسيلة كانوا يجاهدون؟ كيف كانوا يجاهدون وفي أيّ إطار؟ الجهاد له معنى اصطلاحي واضح في الإسلام، وللمجاهدين في سبيل الله وجوهٌ واضحة في القرآن وفي الحديث وفي التاريخ. فأيّ جزءٍ من حياة الأئمة يتطابق مع تعريف الجهاد الموجود في أذهاننا؟ أعترف بأنّ هذا سؤالٌ في محله.

في الجواب على هذا السؤال يجب أن أقول بشكلٍ مختصر وبعبارة واحدة، أنّه وبخلاف ما قيل لنا حتى الآن -سواء في الأحاديث أو التاريخ الذي نُقل لنا أو في الكتابات عن سيرة الأئمة-، فإنّ حياة الأئمة كانت موقوفة للجهاد. الجهاد بأيّ معنى؟ صحيحٌ أنّ الجهاد من مادة «جهد»: السعي، ويمكن إطلاق [لفظ] الجهاد على كل سعي. لكن باصطلاح المتشرّعة المسلمين، للجهاد معنىً واحد محدّد واصطلاح الجهاد يُطلق على أحد مصاديق السعي لا مطلق السعي. عندما يتمّ تبيين فروع الدين -أي تُذكر أساسيات الأحكام الإسلامية- يقولون الصلاة والزكاة والصوم والخمس والحج والجهاد. ولو كان الجهاد بمعنى مطلق السعي، لشمل

الحـج والـزكاة والصـلاة، وعندهـا لا معنـى لذكـره فـي قسـم خـاص.

الجهـاد بشـكلٍ مختصـرٍ يعنـي النّضـال. ما يُسـمى النّضـال اليـوم فـي قامـوس الثقافـة الجديـدة بـل وفـي قامـوس الثقافـة الثوريـة الجديـدة بشـكلٍ خـاص هـو الجهـاد مقابـل هـذه الكلمـة. يجـب أن نمتنـع عـن تفسـير آيـات الجهـاد والروايـات التـي تـدور حولـه وتطبيقهـا بمعنـى السـعي، وعندهـا قـد يُعتبـر سـعي الإنسـان للمطالعـة بهـدف البحـث عـن موضـوعٍ نـادر جهـاداً أيضـاً؛ هـذا أمـرٌ مقـدس أيضـاً، وهـو أمـرٌ جيـد وضـروريّ فـي مكانـه، لكنـه ليـس جهـاداً. الجهـاد يعنـي مواجهـة العـدو، عـدو مدرسـة الإسـلام الفكريـة وإيديولوجيـة فـي ميـدانٍ معيـن. اليـوم لا يعرفـون ميدانـاً معيّنـاً للمواجهـة: توجـد حـروبٌ منظّمـة، وحـروبٌ غيـر منظّمـة، توجد أنشـطة سياسـية، وأنشـطة حزبيـة ومنظّمات وأعـمال أخـرى مرتبطـة بهـذه الأمـور، توجـد توعيـة للنـاس، وتبييـن وتنويـر الفكـر المسـتهدف -تدخـل جميـع هـذه الأمـور فـي نطـاق المواجهـة- فضـح جبهـة الأعـداء؛ هـذه كلهـا تُعتبـر مواجهـة وكلمـة الجهـاد لا تشـملها. لكـن يجـب أن يكـون فيهـا مواجهـة، المواجهـة والاصطفـاف تعنـي الجهـاد، وهـذا مـن أكثـر الأمـور المؤسـفة فـي المسـائل الإسـلامية؛ ومـن الخيانـات المؤسـفة التـي حصلـت بحـق الأحـكام الإسـلامية، أحدهـا هـو أنهـم اعتبـروا الجهـاد مطلـق السـعي وهـذا خطـأ؛ وفـي النقطـة المقابلـة، اعتبـر البعـض وفـي بعـض المـوارد بـأنّ الجهـاد هـو الحـرب المنظمـة فـي ظـلّ الحكومـة الإسـلامية وهـذا خطـأ أيضـاً؛ صحيـحٌ أنّ أحـد أنـواع الجهـاد عبـارة عـن الحـرب المنظّمـة فـي ظـل الحكومـة الإسـلامية. عنـدما يكـون الحاكـم مسـلماً والمجتمـع مسـلماً، يحصـل جهـاد مـن أجـل الـدفاع أو الهجـوم أو لتوسـيع رقعـة الحـدود الإسـلامية، أو لنشـر الفكـر الإسـلامي، لكـن هـذا ليـس مصـداق الجهـاد الوحيـد، فالحـروب التـي تتـم بهـدف الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر هـي جهـاد أيضـاً. المواجهـات التـي تحصـل فـي مجتمـع غيـر

مسلم لإيجاد مجتمع مسلم أو لتهيئة الأرضية لتأسيس هذا المجتمع، هذه تعتبر جهاداً أيضاً. واعتبار الجهاد مختصاً بالمعنى الأول أو الثاني هو تحريف فقهي واضح ومسلّم، إذاً هذا هو معنى الجهاد. وبهذا المعنى كان الأئمة منشغلين بالجهاد طيلة مدة مئتين وخمسين عاماً -أكثر أو أقل بقليل؛ لأنّ ٢٥٠ عاماً ليست المدة الدقيقة، وأنا لا أتذكّر عدد السنوات الآن بشكلٍ دقيق- وقد استمرّ هذا الجهاد بهدوء منذ بداية إمامة الأئمة المعنوية- أي من اليوم الذي توفّي فيه النبي إلى اليوم الذي استشهد فيه الإمام العسكري عليه السلام - دون أدنى توقّف.[1]

فترة الإمامة بعمر إنسانٍ عاش مئتين وخمسين عاماً

عندما كنت مشغولاً بمطالعة تاريخية عن هذا الجزء من تاريخ الإسلام، تصوّرتُ هذا الأمر وقد وجدته مفتاحاً لحلّ الكثير من المسائل المرتبطة بالأئمة: علينا ألا ندرس حياة كلّ إمامٍ بصورة منفصلة. اليوم عندما يدور حديث ما ويُستشهد بسيرة أحد الأئمة، يجد الشخص المقابل أنّ له الحقّ بالتعليق على سيرة هذا الإمام -كأن يعتبر أنّ هناك تناقض واختلاف في سيرة الإماميين- بسبب فهمه الخاص لسيرة الإمام الآخر. إذا قيل مثلاً أنّ الإمام الحسين عليه السلام ذهب إلى ميدان الحرب وقدم نفسه شهيداً يتم التعليق فوراً إذًا لماذا لم يقم الإمام السجاد بهذا الأمر؟ ويكمن في هذا خطأين: الأول عدم الاطّلاع على سيرة الإمام الرابع وفهمها بشكلٍ خاطئ، والثاني رؤية هاتين السيرتين بشكلٍ منفصلٍ عن بعضهما. أنا لا أرى هذه المئتين وخمسين عاماً عمراً لإحدى عشر شخصاً بل أفترض

١. وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عام ١١هـ راجع: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥؛ إرشاد الشيخ المفيد رحمه الله، ج١، ص١٨٩؛ بحار الأنوار، ج٢٢، ص٥١٤؛ شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام عام ٢٦٠ هـ، راجع: الكافي، ج١، ص٥٠٣؛ أنساب الأشراف؛ ج٩، ص٣٠٠-٣٠١؛ بحار الأنوار، ج٣٧، ص٢٠.

أنهـا عمـر إنسـانٍ [واحـدٍ] عاش مئتيـن وخمسـين عاماً، تخيّلـوا إنسـاناً واحـداً بفكـرٍ وهـدفٍ معيّـن. لهـذا الهـدف مؤشـرات معينـة فـي نظـر ذلـك الإنسـان لا يمكنـه فـي ضوئهـا أن يحيـد عـن هدفـه. تسـتطيع أن تعتبـر هـذه المؤشـرات ما تشـاء؛ يمكنـك أن تعتبـر أنّ المؤشـر هـو العصمـة، أو الإلهـام مـن كتـاب الله، أو الإلهـام مـن كلام الأنبيـاء، يمكنـك أن تعتبـره إدراكاً عميقـاً للوضـع الاجتماعـي أو مدرسـة الإسـلام، ويمكنـك أن تعتبـره كل هـذه الأمـور. ما أقولـه هـو أنّـه: يوجـد مؤشـرٌ قـويّ فـي حيـاة هـذا الإنسـان البالـغ مـن العمـر مئتيـن وخمسـين عاماً لـم يسـمح لـه بالانحـراف عـن هـذا الهـدف لحظـة واحـدة أو قيـد أنملـة طيلـة قرنيـن ونصـف.

اختيار تكتيكاتٍ مختلفة خلال مئتين وخمسين عاماً من الإمامة

افترضـوا إنسـاناً عادّيـاً يتحـرّك باتّجـاه هـدفٍ ما وقـد اختـار طريقـاً لـه، أنتـم لا تسـتطيعون أن تفترضـوا أنـه سـيتحرك بنمـطٍ معيّـن أو بنـوعٍ مـن أنـواع الحركـة خـلال طيّـه لهـذا الطريـق، لـن يكـون الأمـر هكـذا. عنـدما يعـزم أحدكـم علـى السـفر، فـي الوقـت الـذي يخـرج فيـه مـن المنـزل يعـرف بأنّـه ينـوي الذهـاب إلـى المدينـة الفلانيـة. لكـن الخطـوة الأولـى، هـي أن يهيّـئ حقائبـه، ثـم ينـزل مـن سـلّم بيتـه، ويخـرج مـن بـاب البيـت، ويسـتقل السـيارة، ثـم يصـل إلـى مـكان ليسـتقلّ وسـيلة أخـرى، قطـاراً أو طائـرة، أو حافلـة كبيـرة، وقـد يأخـذ قسـطًا مـن الراحـة أثنـاء الطريـق أحيانـاً ويسـير أحيانـاً، وقـد يسـرع فـي بعـض الأحيـان، أو يمشـي ببـطء، وإذا صـادف جـدول ماءٍ يبنـي عليـه جسـراً للمـرور إذا احتـاج الأمـر، وإذا واجـه منحـدراً أثنـاء الطريـق يسـير بحـذرٍ، وإذا كان هنـاك نفـقٌ أو احتـاج إلـى نفـقٍ يحفـر نفقًـا آخـر خـلال الطريـق؛ لا يمكـن القـول: لقـد رأيتـه البارحـة يمشـي ببـطء فـي الشـارع عنـد السـاعة الفلانيـة واليـوم رأيتـه يركـب فـي السـيارة ويمشـي بسـرعة كبيـرة، إذاً هـذا

الأمـر يشـمل فكرتيـن، ولـه طريقتيـن وبرنامجيـن! بـل برنامـج واحـد، لكـن [يقتضـي أمـوراً مختلفـة] فالتواجـد داخـل الغرفـة يقتضـي ارتـداء الملابـس وفـي الشـارع أي فـي المقهـى -عنـدما تريـد أن تصلـي- يقتضـي الأمـر خلـع المعطـف ورفـع الأكـمام والوضـوء. فالتواجـد فـي مـكانٍ يقتضـي المشـي ببـطء وفـي مـكانٍ آخـر يقتضـي التحـرك بسـرعة، وفـي مـكانٍ آخـر يقتضـي ركـوب الطائـرة؛ إذاً الهـدف فـي جميـع الأحـوال واحـد، لكـن الأشـكال تتغيـر.

الهـدف فـي جميـع الأماكـن هـو توضيـح المدرسـة و[تبييـن] الفكـر الإسـلامي، و[الغايـة] فـي جميـع هـذه المراحـل، هـي توعيـة النـاس بأصـول مدرسـة الإسـلام؛ لكـن ليـس بهـدف زيـادة معلـومات النـاس، لا بهـدف اطّـلاع النـاس علـى مسـألةٍ فلسـفيةٍ أو فكريـة أو اعتقادهـم بهـا بشـكلٍ خـاص، بـل للوصـول إلـى هـدف الإسـلام؛ هـدف الإسـلام القريـب، وهـو إيجـاد مجتمـع إسـلامي وبشـكلٍ إسـلامي، والهـدف الـذي يليـه، هـو بنـاء إنسـانٍ كامـلٍ ومتعـال. الهـدف القريـب هـو بنـاء المدينـة الفاضلـة، والهـدف التالـي الـذي يترتـب علـى هـذا الهـدف وهـو هـدف الإنسـان النهائـي والغائـي هـو بنـاء الإنسـان الفاضـل، الإنسـان الكامـل. هـذا هـو الهـدف.

فـي كل موقـعٍ مـن المواقـع التـي تواجـد فيهـا الأئمـة، أي فـي الأيـام التـي كان فيهـا حاكـم يراعـي الظواهـر الإسـلامية، كان يجـب عليهـم التعامـل معـه بشـكلٍ ما، [وفـي يـوم آخـر] عنـدما كان الحاكـم الموجـود لا يراعـي الظواهـر، فتغيـرت طريقـة التعامـل معـه. فـي الأيـام التـي كان عـدد النـاس [المناصريـن] قليـل فيهـا، كان أسـلوب التعامـل مختلفـاً عـن الأيـام التـي كان عـدد المحبيـن والمناصريـن فيهـا أكبـر. فـي الأيـام التـي كان الرعـب والتهديـد فيهـا قويـاً والضغـط كبيـراً وثقيـلاً فيجبـرون علـى التعامـل بنحـوٍ خـاص ومختلـف عـن الأيـام التـي كانـت فيهـا حريـة نسـبية. فـي بعـض الأيـام كان العـدو يعتـدي عـن طريـق الاتهـام، فيتصرّفـون بشـكلٍ ما. وفـي بعـض الأيـام كان العـدو يعتـدي

عـن طريـق إلهـاء النـاس بالمسـائل الفلسـفية والمنحرفـة وإيجـاد مسـائل يوميـة، فيتصرّفـون بشـكلٍ آخـر. فـي الأيـام التـي كان العـدو يضغـط فيهـا بشـدة وصراحـة ويواجههـم علنـاً كانـوا يتصرفـون بطريقة ما. لـذا كان الأئمـة يتصرفون ويعملـون وفـق ما تقتضيـه مناسـبات الأيـام، وهـذا هـو دور حيـاة الأئمـة.

نـرى هـذا الإنسـان ذي المئتيـن وخمسـين عاماً يشـعر أنـه إذا خطـا خطـوة فـي سـبيل تحصيـل حقّـه الإنسـاني والإسـلامي -أي الحكومـة الإسـلامية- سـيؤدي ذلـك لفنـاء الإسـلام والمجتمـع الإسـلامي، لذلـك لا يقـوم بهـذه الخطـوة وفقـاً لـما يقتضيـه ذلـك الـزمان، ولا يقـدم علـى هـذا الأمـر، بـل يحـاول توجيـه الحكومـة -التـي يوافـق عليهـا إلـى حـدٍّ كبيـر-، ويحـاول هدايتهـا، وإرشـادها، ويسـاعدها فـي أعـمال الخيـر ويصونهـا ويحذّرهـا مـن الانحـرافات. فـي أحـد الأيـام يـرى هـذا الإنسـان أنـه لا يسـتطيع مواجهـة سـلطة زمانـه علنـاً فيجـد ضـرورةً فـي تشـكيل حـزبٍ سياسـي مخفـي، واسـتقطاب أعضـاء، وتعريـف الأفـراد بفكـره ومنطقـه، فيؤسـس للقيـام بهـذا الأمـر. فـي أحـد الأيـام قـد يجـد الضـرورة فـي خـوض حـربٍ مسـلحة، فيقـدم علـى ذلـك. وفـي وقـتٍ آخـر قـد يشـعر بعـدم إمكانيـة إدارة النـاس بالطـرق والأسـاليب العاديـة لأنّهـم ذعـروا بعـد جـرأة حـكام ذلـك الـزمان عليهـم وبعـد حصـول حادثـة أليمـة، فيعمـل بطريقـة أخـرى.

نظرة سريعة على تدابير الإمام السجّاد عليه السلام

بعـد واقعـة كربـلاء وبعـد واقعـة «الحـرّة»[1] فـي المدينـة المنـورة؛ كان يزيـد

١. تحكـي الواقعـة عـن مواجهـة جيـش الشـام بقيـادة مسـلم بـن عقبـة ثـورة أهـل المدينـة بشـكلٍ عنيـف. فـي عام ٦٣هـ ثـار أهـل المدينـة بقيـادة عبـدالله بـن حنظلـة بـن أبـي عامـر علـى حكومـة يزيـد بـن معاويـة، قتـل كثيـر مـن النـاس فـي هـذه الجريمـة وأعلنـت اسـتباحة أمـوال وأعـراض أهـل المدينـة لمـدة ثلاثـة أيـام.

قد احتمل أن يبدأ العصيان من المدينة مرة أخرى واعتبر أنّ المدينة مركز العصيان -وكان قد بدأ فعلاً- فأمر بإبادة الناس بشكلٍ جماعي في المدينة وضغط وضيّق عليهم ما أمكنه ذلك، فبعد حادثة كربلاء وبعد ضرب مكة[1] بالمنجنيق والإبادة الجماعية في المدينة انتشر الرعب والتوتر في المجتمع الإسلامي بشدة، فلم يكن أمام محبي أهل البيت مجالٌ للتّنفس. فقد ورد في إحدى الروايات أن «ارتدّ الناس بعد الحسين إلا ثلاثة»؛ نفس التعبير الذي ذكر بعد [وفاة] النبي وجاء في بعض الروايات. علينا ألاّ نعتاد على أن نأخذ معنى كلمة «ارتد» بمصطلحها الفقهي للمرتدّ والارتداد. مسألة الارتداد بمعناها الفقهي: الشخص الذي يخرج من الدين. هي اصطلاح لهذا المعنى فقط. أذكر مسألة أهل الردة الذين ارتدّوا بعد وفاة النبي؛ لكنها بهذا المعنى اللغوي أي «العودة»، الارتداد يعني العودة، عادوا من الطريق الذي كانوا يذهبون فيه، تركوا الفكر الذي كانوا يتبعونه والطريق الذي أرادوا اتباعه.

«ارتدّ الناس بعد الحسين إلّا ثلاثة»[2]؛ عاد الناس عن الطريق الذي سلكوه ما عدا ثلاثة. عادوا جميعاً، ماذا يعني؟ ماذا يعني «ارتدّ الناس»؟ هل تراجع جميع الناس عن الدين؟ أي أنكروا الإسلام بمعنى الارتداد الاصطلاحي؟ هذا لم يحصل بكلّ تأكيد، والمرتدّ هو من يتراجع عن

---

١. بعد موت معاوية امتنع عبد الله بن الزبير عن مبايعة يزيد وشكّل لنفسه حكومة في مكة. وفي عام ٦٣هـ وبعد قمع ثورة المدينة أرسل يزيد جيشاً بقيادة «الحصين بن نمير» إلى مكة. وبعد قتل عدد كبير من جيش عبدالله بن الزبير لجأ إلى الكعبة. حاصر جيش الشام الكعبة لمدة تزيد عن شهرين وقاموا برمي الكعبة بالمنجنيق وإشعال النار فيها. ثم فكوا الحصار بعد وصول خبر موت يزيد أوائل شهر ربيع الثاني عام ٦٤هـ.

٢. هؤلاء الثلاثة العظام كما تقول هذه الرواية هم: أبو خالد الكابلي، يحيى بن أم الطويل، وجبير بن مطعم.

الإسلام بشكلٍ صريح. أو هل تراجع الناس عن التفكير بأسلوب أهل البيت؟ ومن المسلّم أن الأمر لم يكن كذلك أيضاً، لأنّ الناس لم يكونوا مطّلعين على أسلوب تفكير أهل البيت كي يتراجعوا جميعاً. هل تراجع الشيعة عن معتقداتهم؟ بالطبع ليس الأمر كذلك. لأنّه في زمان الإمام السّجاد وبعد واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين، كان هناك الكثير من الشيعة المتمسكين بإمامة أهل البيت عليهم السلام ولم يكونوا قد تراجعوا عن عقيدتهم. «ارتدّ الناس» أي تلك الجموع التي تشكّلت للمواجهة وقتال السلطات في ذلك الزمان، والتي أرادت مواجهة السلطة الأموية، هؤلاء تراجعوا عن الطريق. عندما زاد الضغط والتوتر بعدما تلقى جسد المجتمع المجاهد المحارب ضربةٌ حاسمةٌ وقوية، حصلت حالة صدمة ودوارٍ استمرّت لمدةٍ من الزمن، فتراجع عدد كبير من الناس، واختار عدد كبير من الناس أساليب أخرى، ومجموعة كبيرة من الناس اختاروا طرقاً أخرى يظنّون بأنها استمرارٌ لذلك الطريق ويبرّرون ذلك لأنفسهم بينما هي في الواقع خيانة وانحراف عن الطريق الصحيح. والبعض أصبحوا أخرويين أي اختاروا الانزواء والتفكير بالزهد، وبعض الناس شعروا باليأس. جميع هذه الموارد تُعدّ تراجعاً أو ارتداداً. وفي النهاية تبقى مجموعة من الناس وتستمرّ في نفس الطريق بنفس الشدة والقوة. «ارتدّ الناس بعد الحسين إلّا ثلاثة»؛ كان قد بقي ثلاثة أشخاص وقد زاد الإمام السجاد عدد هؤلاء الأشخاص الثلاثة ووسّع [دائرتهم] وأعاد تشكيل الشيعة مجدّداً وسلّمهم للإمام الباقر عليه السلام كي يستطيع أيضاً إيفاء دوره التاريخي، وهذا هو أحد الأساليب المستخدمة [من قبل المعصومين].

لقد كانت حياة الإمام السجاد حياةً بطولية في ذلك الوضع الذي كان يعيشه في المدينة، وفي ظلّ الكثير من التحريفات والخلافات الواقعة في سيرة حياة الأئمة حيث يمكن القول بعدم وجود هذا المستوى من

التحريف في مسائل إسلامية أخرى كما في سيرة الأئمة.

جميع الناس يعرفون الإمام الرابع، لكنهم يقولون عنه عند ذكره: «الإمام العليل»! كأنهم لم يجدوا لقباً أكثر فخراً من كلمة عليل، الإمام العليل! حسناً كل إنسانٍ يمرض في مدة من حياته، هل علينا أن نقول عنه نحن جميعاً العليل؟! لقد كان الإمام السجاد شاباً، وقد عرضت له الحمى في أحد الأيام، وأصيب بالزكام، وكان مريضاً خلال واقعة كربلاء، لا يجب أن يكون اسمه الإمام العليل. الإمام العليل! نعم، نفس هذا الإمام العليل شكّل الشيعة مجدداً، لقد أعاد تشكيل هذه المجموعة من الناس التي تهوى أهل البيت وتؤيّد حكومة أهل البيت وتشكيل المجتمع الإسلامي بمعناه الحقيقي، وذلك بعد واقعة كربلاء وبعد أن تعرّضت هذه المجموعة إلى ضربة قاصمة. لقد جمع الناس وأبعدهم عن بني أمية.

يقول «يحيى ابن أم الطويل» في كتب الحديث: «وكان بابه يحيى ابن أمّ الطويل»[1] -كتاب مناقب ابن شهر آشوب- ما المقصود من باب الإمام؟ من الواضح أنّ الأشخاص الّذين يريدون التواصل مع الإمام بشكلٍ خاص كانوا يتواصلون معه عن طريق يحيى ابن أمّ الطويل، هذا الأمر لوحده يدلّ على تنظيمات خاصة. كان يحيى بن أمّ الطويل يحذّر الناس كي يُعيدهم إلى الزمن الذي يسبق نهضة الحسين عليه السلام، هؤلاء الأشخاص الذين عرجوا وسط الطريق وتراجعوا عنه، ولم يستمروا في الطريق. كان يُعيدهم إلى أنفسهم ويُطلعهم على المسؤولية الخطيرة التي يواجهونها وينبههم إلى المواقف الجديدة التي تشكّلت في نفوسهم. كان يأتي أحياناً إلى مسجد النبي في المدينة فيقف وينادي بهم: «إنّا براء منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً

١. مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص١٧٥.

حتّى تؤمنوا بالله وحده»[1]؛ كان يتلو عليهم هذه الآية من القرآن والتي ذكرت عن لسان النبي إبراهيم. يوجد بيننا وبينكم خندق عميق لا يمكن ملؤه، لقد حدثت بيننا وبينكم فجوة عميقة بسبب الطريق الذي اتبعتموه؛ لقد أصبحنا في الجهة المقابلة لكم، لأنكم تركتمونا والتحقتم بجبهة الأعداء، لأنكم غبتم عن جبهتنا. كان يقول هذه الكلمات بلسان الآية القرآنية، فلم يكن ذلك -قراءة الآية القرآنية- يُشكّل له خطراً مع حكومة ذلك الزمان وكان له الأثر البالغ على الناس في ذلك الوقت والذين كانوا على معرفةٍ أكبر بلسان القرآن. هذا هو يحيى ابن أمّ الطويل.

كان الإمام السجاد يُلفت المحيطين بالحكومة إلى مسؤوليتهم الخطيرة بشكلٍ ما. كنت أتمنى أن يكون لديّ الوقت الكافي كي أقرأ لكم الرسالة التي كتبها الإمام السجاد لمحمد بن شهاب الزهري لكن لا يوجد مجالٌ لذلك طبعاً. يكتب الإمام السجاد رسالة عجيبة إلى محمد بن شهاب، ولهجة الإمام في الرسالة تُبين موقع الإمام ودوره أصلاً. ورجائي من الأشخاص الّذين لديهم مطالعة في الكتب العربية ومعرفة بها، أن يقرؤوا هذه الرسالة المذكورة ضمن الكلمات التي وصلتنا عن الإمام السجاد في كتاب تحف العقول، لقد نقل ابن شعبة هذه الرسالة بالتفصيل.

لنتعرّف أولاً على محمد بن شهاب. محمد بن شهاب الزهري فقيهٌ عالمٌ متبحّرٌ ذو فنون معروفة في ذلك الزمان، وكان مقبولاً عند جميع فئات المجتمع. طبعاً كان قد نهل من علوم الإمام؛ لكنه كان مرتبطاً بجهاز الحكومة والسلطة، وكان من حاشية حكومة عبد الملك. لقد كان من الأشخاص الّذين يعتبر التحاقهم بالحكومة فوزاً عظيماً لها، فقد كان الكثير من الناس يثق بالحكومة بسبب تعاونه معها، وخلاصة الأمر كان

١. الممتحنة، ٤.

عمله يعتبر حجة للناس.

كتب الإمام رسالةً مفصلة لهذا الرجل، قال فيها: إنّ أقلّ ذنبٍ ارتكبته هو أنك [آنست وحشة الظالمين] بسبب قربك منهم. عندما يرى هؤلاء رجلاً مثلك بجانبهم، فلن يخافوا من الناس بعد ذلك. يعرفون أنّ الناس يحترمونك وعندما يجدونك معهم سيحترمونهم أيضاً. وكتب له بأنّهم جعلوك قطبا أدار بها الجبّارون رحى مظالمهم،[1] وبيّن له حجم مسؤوليته الخطيرة، وأراه أيّ دورٍ في المجتمع الإسلامي قد اتّخذ. ولحسن حظّنا فإنّ هذه الوثيقة موجودة بين أيدينا اليوم بشكلٍ كامل وهي توضح لنا دور الإمام السجاد وموقعه.

عندما واجه الإمام السجاد يزيداً، تكلّم معه بأسلوبٍ لا يصدر إلّا عن إنسانٍ قد استغنى عن روحه وآمن بهدفه وفكره بكامل وجوده. شاهدوا أنتم كم تعرّض أئمة أهل البيت عليهم السلام للظلم إذ تمّ عرض هذه المواضيع بشكلٍ معكوس. نقل الأكاذيب، ونقل الأمور التي تنافي سيرة أهل البيت عليهم السلام الصريحة موجودة بشكلٍ كبير في أحاديثنا. لكنها طبعاً ليست موضع شكوى، فماذا تتوقعون من الحكومة التي استمرت لمدة تزيد عن ستمئة سنة -فقد استمرت حكومة بني أمية وبني العباس أكثر من ستمائة عام وكان أكثرهم خائفين من الشيعة- هل تتوقعون منها عدم اللجوء لهذه التحريفات وتزيّف [التاريخ]؟ لا بدّ لها أن تزيّف [الحقائق والتاريخ]. يجب أن يقولوا للشيعة بأنّ الإمام السجاد أي أحد أئمّتكم، عندما التقى بيزيد في مكة -حيث تم التحقيق بعدها، وتبيّن أنّ يزيد لم يذهب إلى مكة أصلاً، لكن توجد روايات في كتبنا الحديثية، [من ضمنها] كتاب البحار بأنّ يزيد لم يخرج من الشام أصلاً- قال له يزيد:

١. تحف العقول، ص٢٧٤.

هـل أنـت عبـدي؟ فسـأله الإمام إذا لـم أقـرّ بأننـي عبـدك لا تقتلنـي؟ فأجابـه: بلـى سـأفعل ذلـك. فقـال الإمام: نعـم أنـا عبـدك!

مثـل هـذا الموضـوع يُنقـل عـن الإمام السـجاد الـذي كتـب تلـك الرسـالة لمحمـد بـن شـهاب وتكلـم معـه بتلـك الطريقـة، توجـد أمامـي الآن مجموعـة أشـعارٍ منقولـةٍ عـن الإمام السـجاد[1]، كتبـتُ بعـض الأبيـات الشـعرية هنـا -وأنتـم تعرفـون أنّ لسـان الشـعر أكثـر صراحـةً وأقـوى معنـىً وهـو يُخبـر عـن الإحساسـات والأفـكار أكثـر مـن أيّ لسـانٍ آخـر- ولـن أقـرأه الآن طبعـاً بسـبب ضيـق الوقـت، هـذا هـو الإمام السـجاد.

إجراءات الإمام الباقر عليه السلام

ثـم يأتـي دور الإمام الباقـر عليه السلام. لقـد كان الإمام الباقـر فـي صـراعٍ ومواجهـة طـوال حياتـه، وتعـرّض للأسـر مرّتيـن علـى الأقـل، قبضـوا عليـه وزجّـوه فـي السـجن مكبّـلاً بالقيـود والأغـلال. فـي إحـدى المـرّات كانـوا يأخـذون الإمام من المدينـة إلـى الشـام بطريقـة سـيّئة جـداً ومفجعـة. عنـدما وصـل الشـام وقبـل أن يدخـل القصـر علـى هشـام بـن الحكـم -علـى ما يبـدو- قال هشـام بـأنّ محمـد بـن علـي سـيأتي الآن، لكـن التفتـوا إنّ هـؤلاء أنـاس يجيـدون الحـوار، وهـم بارعـون فـي الجـدل والـكلام، التفتـوا ولا تعطوهـم مجـالاً لذلـك. وعنـدما دخـل الإمام الباقـر إلـى المجلـس بعدهـا، قال هشـام لـه -هـذه الجملـة التـي قالهـا هشـام وثيقـة تاريخيـة لنـا-: «يـا محمـد بـن علـي! لا يـزال الرجـل منكـم قـد شـقّ عصـا المسـلمين -كـم كان يحـب الحفـاظ علـى اتحـاد المسـلمين واتفاقهـم- ودعا إلـى نفسـه وزعـم أنّـه الإمام!» هـذا كلام واضـح. ماذا يعنـي؟

---

١. بحـار الأنـوار، ج٤٥، ص١٧٥؛ «لا تطمعـوا أن تهينونـا ونكرمكـم/ وأن نكـفّ الأذى عنكـم وتؤذونـا مهـلاً بنـي عمّنـا مـن نحـت أثلتنـا/ سـيروا رويـداً كـما كنتـم تسـيرونا ألله يعلـم أنـا لا نحبكـم/ ولا نلومكـم إن لـم تحبّونـا».

أي هل تقولون للناس تعالوا إلينا واسألونا؟ فلقد كان هناك الكثير من الناس الذين يدعون الناس إليهم ليسألوهم في زمان الإمام، لماذا لم يكن لديهم مشكلة معهم؟ كم كان عدد فقهاء المدينة، ألم يكن محمد بن شهاب الزهري -قرة عين حكومة بني أمية- يفتي؟ ألم يكن يتكلم؟ ألم يكن يتكلم عن مسائل علمية؟ ألم يكن ينقل الأحاديث عن النبي؟ الإمام الباقر كان يتكلّم عن هذه الأمور أيضاً. هذا هو ذكر المسائل، ماذا يقصد هشام من «دعا لنفسه؟» الجملة التي تليها تفسّرها: «وزعم أنّه الإمام»، الإمام تعني الحاكم، إنّ مفردة الإمام المذكورة في جميع تعابير القرآن والأحاديث، تعني القائد والحاكم. وتعني اصطلاح الحاكم في أكثر التعابير طبعاً. كلمة حاكم في القرآن والحديث تعني كلمة القاضي التي نستعملها اليوم، وكلمة والي وإمام تعني الحاكم التي نستعملها اليوم. أي أن تعتبر نفسك صاحب منصب، تعتبر نفسك أميراً، إماماً، حاكماً على المسلمين وأنتم جميعكم كنتم كذلك. إنه يقول الصواب جميعهم كانوا على هذا النحو.

عندها لم ينفِ الإمام ولم ينكر كلامه، نحن لم نقل شيئاً كهذا، متى اعتبرنا أنفسنا أئمة؟ نحن نريد فقط أن نفتي للناس. الإمام عليه السلام لم يقل ذلك، بل الإمام أجابه بخطبة مفصلة -من حيث المضمون والمغزى لأنها ليست طويلة جداً- يلقي خطبة خالدة حماسيّة يثبت فيها أنهم هم من يجب أن يكونوا الأئمة والحكام وأنهم يفعلون الصواب إذا ما دعوا الناس إليهم. «نهض قائماً ثم قال أيّها الناس! أين تذهبون وأين يُراد بكم بنا هدى الله أولكم»؛ هذا المنصب لنا، كان للنبي وسيصل لنا. هذا هو وضع الإمام الباقر.

ثم يأمر الخليفة بإلقاء الإمام الباقر في السجن. وفي السجن يستمر الإمام الباقر بتبليغه المؤثر وخطبه النارية، فينجذب له السجناء ويؤخذون

به، وعندها يجد هشام أن لا مصلحة في إبقائه في السجن فيطلق سراحه، لكنه يُضيّق عليه في المدينة. «فأمر به إلى الحبس فلمّا صار في الحبس تكلّم فلم يبق في الحبس رجل إلا ترشفه وحسن عليه»[1] هناك عبارة أخرى[2] لا يمكنني قراءتها الآن. لكن هذا كان وضع الإمام الباقر.

كانت هناك مواجهاتٌ من هذا القبيل بين الأئمة والخلفاء بشكلٍ دائم.

إجراءات الإمام الصادق عليه السلام

يصل الموضوع إلى ذروته عندما يحين زمان الإمام الصادق. فما يُقال حول الإمام السادس الإمام الصادق عليه السلام، عادة هو: كان الإمام في زمن تتنازع فيه قدرتان -بنو أمية وبنو العباس- على السلطة، وكلاهما لم يكن لديهما الوقت لملاحقة الأئمة عليهم السلام، فبنو أمية الّذين كانوا [في البداية] مشتبكين مع بني العباس، أو بنو العباس في بداية عملهم كانوا يريدون تدعيم حكومتهم، لذلك مدّ الإمام الصادق بساط العلم وبدأ بالتدريس وقام بتربية أربعة آلاف تلميذ. ما إن يقولوا هذا [الكلام] حتّى يُخيّل للمرء

---

١. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٤، ص١٨٩.

٢. يقول سماحته في خطابات أخرى: «ثم خرجوا من الشام، وأمروا بإبعاد الإمام الصادق والإمام الباقر عليهما السلام عن الناس، أي كانت أوامر هشام هي لا يحق لأحد الارتباط بهم أو التعامل معهم. لم يتم ذكر هذا الأمر حتى الآن، ولكن هذا الأمر بعدم التداول مذكور كثيرًا. حسنًا، له جانب إعجازي وشيء من هذه الأمور، لذلك يحب السادة أن يرووه وربما سمعتم عن الإمام باقر والإمام الصادق عليهما السلام عندما ذهبوا ووصلوا إلى مدينة مدين، لكن أهل المدينة أغلقوا الأبواب ولم يسمحوا لهم بالدخول. لأن وكيل الخليفة قد ذهب بالفعل وقال إن هؤلاء أعداء أمير المؤمنين الخليفة فلا تدعوهم يرحلون. ثم صعد الإمام الصادق إلى قمة الجبل وتحدث إلى الناس وصرخ وفعل الكثير، وعندها تعرف عليه الناس وأفسحوا الطريق، ومن هذا الكلام حتى النهاية» (كتاب الحسين مسيرة متواصلة).

بأنّ الإمام الصادق عليه السلام جالسٌ على المنبر وقد اجتمع أربعة آلاف شخصٍ في قاعة درسه والإمام يُقدّم الدروس ويُبيّن الحقائق العلمية؛ كلا، القصة ليست على هذه الشاكلة. يوجد بين هؤلاء الأربعة آلاف شخصٍ من كان يذهب إلى «الحيرة»[1] -المدينة التي نُفي الإمام الصادق إليها- وكانوا يقيمون فيها ثلاثة أيام كي يلتقوا بالإمام وقد لا يتمكنوا من ذلك بسبب كثرة الجنود ويعودوا خالي الوفاض؛ كان هذا حال بعضهم. البعض الآخر كان يلتقي بالإمام الصادق أثناء تواريه وهروبه سراً من مكانٍ إلى آخر. والبعض الآخر كان يذهب إلى بيت الإمام عليه السلام في المدينة سراً. البعض الآخر كان يذهب إلى منزل الإمام فيُخبره الإمام بأنّ المصلحة تقتضي أن لا يلتقيا؛ ويطلب منه أن يذهب إلى عمله ولا يمكث عنده. هكذا كان الأمر حتى بلغ عددهم أربعة آلاف شخص.

في هذه الفرصة والمرحلة التي حصلت فيها الاشتباكات بين بني أمية وبني العباس، وجد الإمام الصادق فرصة لاستقطاب الجموع، وتوسيع دائرة الأشخاص، ووجد الفرصة لتعليمهم، أي توعيتهم، وجد الفرصة لتفهيم الناس بأنّ نظام بني أمية نظام ملوّث بالشرك، وبيّن للناس معنى الشرك والتوحيد. فهّم الناس أنّ"الطاغوت الموجود في القرآن هو حكومة هذا الزمان، أي هذا الشخص الأموي الذي يرأس المجتمع الآن. وضّح للناس أنّ المجتمع التوحيدي هو المجتمع الذي يُبنى على الأوامر الإلهية وتكون فيه الحكومة الإلهية، لأنهم لم يسمحوا للناس بمعرفة معنى التوحيد والشرك.

لقد كتبتُ جملة أخرى هنا عن الإمام الصادق عليه السلام، إنها رواية ملفتة وعلى الرغم من أنني في العادة لا أرغب بنقل المتون ولا أحبّذ ذلك،

١. تقع هذه المدينة قرب النجف وقد أقام فيها السفاح والمنصور، أول خليفتين عباسيين، مدة من الزمن وانتقلوا إلى بغداد عاصمة العباسيين بعد بنائها.

لكـن الليلـة، ولأننـي أريـد أن أعالـج الموضـوع بشـكلٍ مكثّـف وأنتهـي مـن إثباتـه، لـذا سأسـتفيد مـن هـذه الملاحظـة التـي كتبتهـا وحضرتهـا، وهـي طـرف خيـط وفكـرة فـي أذهانكـم، راجعـوا حيـاة الأئمـة بهـذه النظـرة مـن الآن فصاعـداً. فـي حـال راجعتـم كتـاب حديثـي أو تاريخـي أو سـيرة ذاتيـة أو تفسـير، لتـروا عظمـة ونـور حيـاة الأئمـة عليهم السلام. يقـول: «إنّ بنـي أميـة أطلقـوا للنـاس تعليـم الإيـمان ولـم يطلقـوا تعليـم الشـرك لكـي إذا حملوهـم عليـه لـم يعرفـوه»[1]. لقـد سـمح بنـو أميـة للنـاس بمعرفـة الإيـمان؛ فالصـلاة مـن عـلامات الإيـمان، والحـج علامـة مـن عـلامات الإيـمان، وأداء الحقـوق الماليـة علامـة مـن عـلامات الإيـمان، لكـن التوحيـد ليـس مقترنًـا بهـذه الأمـور بشـكلٍ مسـلّم وغيـر قابـلٍ للانفـكاك. أي يمكـن لأحدهـم أن يُصلّـي ولا يكـون موحـداً. لـم يسـمحوا للنـاس بمعرفـة الشـرك، لـماذا؟ «لكـي إذا حملوهـم عليـه لـم يعرفـوه»، ماذا يعنـي الشـرك؟ الشـرك يعنـي حكومـة الوليـد بـن يزيـد، وحكومـة مـروان الحـمار، وحكومـة المنصـور العباسـي، وحكومـة هشـام بـن عبـد الملـك؛ هـذا هـو الشـرك، وهـذا ما يعنيـه. الشـرك هـو أن تضـع لله منافسـاً، وأن تطيـع أوامـر أحـدٍ غيـر الله؛ «غيـر الله» هـذا يمكـن أن يكـون صنمـاً يُدعـى هبـل، وهـو أعجـز وأتفـه المنافسـين، وأحيانـاً يكـون أبـو سـفيان، وأحيانـاً عبـد الملـك، أو هشـام بـن عبـد الملـك، أو معاويـة، أو يزيـد؛ هـؤلاء طغـاة أيضـاً، وهـم ينافسـون الله.

كانـوا يحاولـون تعليـم النـاس هـذا البعـد الثـوري التوحيـدي، ولـم يكتفـوا بتعليـم النـاس فكـر التوحيـد بشـكلٍ فلسـفي، بـل كانـوا أيضًـا يسـعون لتعريفهـم بحقيقـة التوحيـد وماهيتـه، وقـد اسـتمرّ هـذا الوضـع. وكانـوا يوسّـعون تنظيـمات الشـيعة فـي الأثنـاء، ولقـد وجـدت أمثلـةً كثيـرةً تـدلّ علـى وجـود تنظيـماتٍ خاصـة فـي جهـاز الأئمـة. كان لديهـم تنظيـماتٌ ماليـة، وكانوا

١. الكافي، ج٢ض، ص٤١٥.

يحاولون حلّ المشاكل المالية التي تحصل بين الأفراد بأنفسهم كي لا يحصل خلافٌ بين الشيعة. يوجد في التاريخ سندٌ واضح وهو أمامي على الطاولة الآن ولا يمكنني تفصيله كاملاً، يكفي [أن تعرفوا] بأنّه عندما تحصل خلافاتٌ مادّية بين الشيعة والتابعين لهذا المنهج، لم يسمحوا ببقاء هذا الخلاف كي يسيء شخصان من الشيعة الظن بالآخر، وكان الإمام الصادق يحل هذا الخلاف من ماله وعلى نفقته.

مواجهات الإمام الكاظم عليه السلام الأكثر شدة مع الجهاز الحاكم

في زمان الإمام موسى بن جعفر صارت المسألة أكثر حدّة. أي في زمن الإمام الصادق كانت هناك مرونة أكثر؛ فالمدة كانت أطول، والزمن أطول، والإمكانات على نحوٍ يُمكّنهم من التّعامل بمرونة أكبر. لكن في زمن الإمام موسى بن جعفر بسبب الأوضاع والظروف الخاصة -نحتاج إلى المطالعة والدقة والدراسة بشكلٍ أوسع للتعرف على هذه الأوضاع- لكن بسبب وجود أوضاعٍ خاصة إجمالاً واجه الإمام موسى بن جعفر حاكم زمنه أكثر من باقي الأئمة؛ وتكلّم بصراحة أكبر معه، ووضّح أهدافه أكثر، كأنّه كان يرى الأرضية أكثر استعداداً. كانت ثورات السادة العلويين -والتي كانت مورد تأييد وقبولٍ من قبل الأئمة غالباً مثل الوثائق التاريخية- قد اندلعت بشكلٍ متوالٍ وزلزلت أوضاع الحكومة وفسحت المجال للإمام كي يتكلّم بشكل صريح وواضح وبلا موانع.

كان هارون الرشيد خليفة ذكي جداً. وبمقدار سعي المنصور لقمع الناس وإخافتهم، حاول هارون في البداية أن ينهي المشاكل بإدارة وحسن دراية وتدبير. كان يريد أن يقنع الإمام الكاظم بشكلٍ ما، ويحصل على شعارٍ كبيرٍ من الأئمة، وربّما كان يريد أن يعرف رأي الإمام الدقيق بشكلٍ واضح.

في أحد الأيام طلب رؤية الإمام موسى بن جعفر، وقال له أنا حاضرٌ لإنهاء قضية فدك هذه، لأنّ مسألة فدك كانت تُذكر في كلمات أهل البيت دائماً وكان يقال بأنّها اغتصبت منهم يوماً ما. لا أقصد أنهم كانوا يتكلمون عنها بشكلٍ دائم لكنها كانت مذكورة في كلامهم وفي سيرة حياتهم على أنها واقعة تعرّض فيها آل محمد للظّلم ويجري الكلام عن اغتصاب فدك منهم. أراد هارون الرشيد أن يلفت الانتباه قليلاً إضافةً إلى تلك الأسباب التي ذكرناها، فقال لموسى بن جعفر أنا مستعدّ لإعادة فدك إليكم، عيّن حدود الأرض ومكانها، فنعيد بستان فدك هذا إليكم، وتنتهي مشكلة غصب فدك هذه عندكم. فسأله الإمام هل تريد أن تعيدها؟ لم يجبه الإمام لمدّة من الزمن إلى أن أصرّ هارون كثيراً، وقال: نعم، يجب أن أُعيد فدك إليكم، لقد أخذوا فدك منكم وأنا أريد إعادتها إليكم. فقال له الإمام حسناً، «فقال عليه السلام لا آخذها إلّا بحدودها»، «قال وما حدودها؟» حسناً إنها أرض [فكم تبلغ مساحتها؟ هل ستكون بمساحة بستانٍ أو بستانين؟ ثلاثة إذا افترضنا أنها كانت أرض كبيرة مستوية وأردت حساب كل حدودها، فسيصعب ذلك حينها. «قال وما حدودها؟ قال إن حددتها فلن تردّها؟» «قال بحقّ جدّك إلا فعلت» سأعيدها بكلّ تأكيد، لم لا أفعل ذلك؟ «قال أمّا الحد الأول فعدن»، أي جنوب الجزيرة وحدودها. «فتغيّر وجه الرشيد»، «وقال أيها» ما الذي تقوله، «قال والحدّ الثاني سمرقند» أي حدود بلاد الإسلام الشرقية. «فاربدّ وجهه»، «قال والحد الثالث أفريقيا»، «فاسودّ وجهه وقال هيه» «قال الرابع سيف البحر ممّا يلي الجزر وأرمينيا»، أي نهاية البلاد الإسلامية وحدودها، «قال الرشيد فلم يبق لنا شيء فتحوّل إلى مجلسي»، أي خذ مكاني، «قال موسى قد أعلمتك أنني إن حددتها لم تردّها. فعند ذلك عزم على قتله».

في أحد الأيام كانت فدك شعاراً لأهل البيت ولم تكن هدفاً لهم.

كانت مسألة فدك شعاراً لأصحاب الخلافة الأصليين مقابل غاصبي الخلافة، لكن اليوم لم تعد شعاراً. لم تعد قضية فدك مطروحةً اليوم. الشعار يكون شعاراً في أحد الأيام لكن في يومٍ آخر نحتاج إلى شعارٍ آخر. كان هذا -هارون- يريد أن يأخذ شعار أهل البيت منهم، لأنه يظنّ أنّ شعارهم لا يزال فدكاً. لكن الإمام قال لا في جوابه، لقد أخطأت؛ الشعار اليوم هو الحصول على الحكومة وإذا أردت أن تردّ إلينا فدك، يجب أن تعطينا المجتمع الإسلامي. «فعند ذلك عزم على قتله»، وبعد مدة وضع موسى بن جعفرٍ في السجن. طبعاً تكررت مثل هذه المواجهات الحادة بين الإمام موسى بن جعفر وحاكم ذلك الزمان -سواء كان هارون أو المهدي أو الهادي العباسي- وهذه إحدى المواجهات، وقد أُجبر هارون [على قتل الإمام].

الآن أنظروا لقد زجّ هارون الرشيد موسى بن جعفر في السجن وبقي الإمام سجينا مدة أربعة أعوام وقيل أربعة عشر عاماً؛ وفي النهاية لم يخرج الإمام من السجن بل مات فيه. ولو بقي الإمام حياً لمدة عشرين عاماً آخر لما خرج من السجن حسب الظاهر، لقد كان سجناً أبدياً. إذاً ما هو الشيء الذي جعل هارون يضع الإمام في السجن إلى الأبد ويدسّ له السّم فيه؟ ما هو؟ هذا الرجل الذي كان جزءًا كبيرًا من المجتمع الإسلامي في ذلك الزمان يكنّ له المحبّة. هذا الإنسان الذي كان تلامذته وتلامذة أبيه فقهاء ذلك الزمن. هذا الإنسان المحبوب بين عامة المسلمين بسبب نسبته مع النبي وآل النبي إضافةً إلى سائر الميزات التي يملكها. شخص كهذا لا يستطيع حاكم زمانه أن يسجنه بسهولة ومن دون سبب وجيه إلى الأبد ليقتله بعد ذلك، سيحسب حساباً ويخاف. لكن هارون كيفما فكر وجد أنّ قتل هذا الرجل أقل ضرراً على حكومته من بقاءه على قيد الحياة، لأنّ ضرره سيكون أكبر لو بقي على قيد الحياة. ثم يحضرون

أناساً مأجورين -بعد شهادة الإمام ووفاته في الحبس- ليشهدوا بأنّ وفاته كانت طبيعية. نحن لم نقم بتسميمه، بل مات لوحده في الزنزانة، وذلك كي لا يقع وزر قتله عليه[1]. وهذه سيرة الإمام موسى بن جعفر أيضاً.[2]

ضرورة معرفة سيرة الأئمة عليهم السلام

الإمام بالنسبة لنا هو الشخص الذي تكون لأدنى حركة يقوم بها معنى واتجاه ودرس، ولذلك تلعب شخصيته دورًا كبيرًا. هناك اختلاف كبير بين أن يقول الإمام السجاد ليزيدٍ عند مواجهته بأنني عبد لك، أو يقول له بأننا لا نتوقع منكم أن تعاملونا معاملة حسنة، ولا تتوقعوا منا أنتم أيضاً هذه المعاملة الحسنة ـ أحد أشعار الإمام السجاد التي كتبتها هنا- «لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم / وأن نكفّ عنكم وتؤذونا مهلاً بني عمنا من نحت أثلتنا/ سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا الله يعلم أنا لا نحبكم/ ولا نلومكم إن لم تحبّونا».[3] من الواضح أنّ الجبهتين المتخاصمتين لا تشكوان من توجيه ضرباتٍ لبعضهما، لا يجب أن يشكو الإنسان بسبب الضربة التي يتلقّاها من الأعداء، فالعدو يضرب ضربته، هناك اختلاف بين هذين الوجهين.

---

١. بحار الأنوار، ج٤٨، ص٢٢٨.

٢. سماحته: ثم ننتقل إلى مراحل الأئمة المتأخرة، ولا أريد أن أتحدث كثيرًا في هذا المجال بعد الآن، وأعتقد أن هذا يكفي لوصف حياة الأئمة. بالطبع هناك الكثير ليقال في هذا المجال. نفس الملاحظات التي أحضرتها، لم أقرأ أكثر من اثنتين أو ثلاثة منها، فهي نفسها تتطلب الكثير من الوقت. وأشعر أنه لا ينبغي عليهم قضاء الكثير من الوقت والبقاء في هذه الأمور حتى تكون إن شاء الله فرصة أو بطريقة ما تصبح موضوعًا للكتابة، أيها السادة، يرجى دراسة هذه القضايا بعناية أكبر، وأنا اطلب من الذين يفكرون في هذه القضايا لديهم أفكار وآراء. إنها قضية مهمة للغاية.

٣. بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٧٥.

لا نستطيع القول بأنّه هو الإمام [ونحن لسنا أئمة][1]، لأنّه الإمام يجب أن نعرفه، ونعرف غايته ونفسّر تحرّكاته؛ لأنّه الإمام يجب أن نكتشف عمله لأنّه درسٌ لنا. لو لم يكن هو الإمام لما كان يعني لنا شيئاً، يوجد الكثير من الوجوه غير المعروفة في التاريخ؛ لكننا نريد أن نتعرّف عليه لأنه الإمام.

عصر آخر خمسة أئمة عليهم السلام مرحلة تعاظم قدرة الشيعة

دعوني أقول هذه الجملة أيضاً ثم أتكلم عن القسم المتبقي [من الجلسة السابقة] وعن موضوع هذه الليلة وهو موضوعنا الأساسي.

في مرحلة ما بعد الإمام الثامن -أي الإمام التاسع، والعاشر، والحادي عشر، هؤلاء الثلاثة- كانت مسألة التشيع أكثر عمقاً، حسب استنباطي عن هذا الموضوع. كان الشيعة أكثر عدداً، وقدرة، ويوجّهون ضرباتٍ أقوى [للجهاز الحاكم]. لهذا بقي هؤلاء الأئمة الثلاثة بين سجن وتبعيد وزجر وتعذيب. ومع أنّ مكان سكنهم هو المدينة لكنهم كانوا دائماً تحت مراقبة حكام زمانهم. كانوا يأتون بهم إلى بغداد وسامراء-حسب مكان تواجد الحكومة- وترون أنهم دفنوا في سامراء والكاظمية، لم يُدفن أحدهم في المدينة. كانوا يأتون بهم إلى هناك ويُقونهم تحت المراقبة، ويوظفون الجواسيس [لتتبع حركاتهم]، ويرسلون الأموال ويمتحنونهم، وكانوا يحاولون توجيه ضرباتٍ لهم أيضاً، ومن ضمن الأعمال التي قاموا بها -تعرفون هؤلاء الأئمة الثلاثة كانوا شباباً وماتوا في عمر الشباب بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين عاماً- هي محاولتهم جذب الشباب من خلال أساليب معيّنة، ربما استطاعوا جذبهم إليهم. رجلٌ ثوريّ تقيّ زاهد ينظر إلى الدنيا نظرة استهزاءٍ وسخرية، هو إنسان في

١. المترجم: أي أن تصرفات الأئمة خاصة بهم وليس مطلوباً منا أن نتصرّف مثلهم ولذا لن نتعلم منهم.

النهاية وشاب، وإذا ما استطاع الإنسان أن يجرّه إلى الفساد والابتذال فهذا أسهل الأمور. قال المتوكل إنّ ابن الرضا هذا، يقصد به الإمام الهادي -كانوا يطلقون لقب ابن الرضا على الأئمة الثلاثة- أتعبني وآيسني -كيف يرهق إنسانٌ لوحده حكومة بأكملها- قد أستطيع جرّه للملاهي والمعاصي وشرب الخمر، ولأنه لم يستطع ذلك، قال له وزيره يكفي أن تحضر أخيه من المدينة؛ لأنه شخصٌ فاسق وهو أحد إخوة الإمام، كان أهل بيت النبي أشخاصاً ثوريين أتقياء، كان أغلبهم هكذا، ويوجد بينهم بعض المدللين المرفهين الذين يسيئون استخدام عنوان الإمام وسمعته، ويهتمون بالملذات وينشغلون بالملاهي وكانوا يبنون آمالهم على كونهم أولاد النبي ولن يدخلوا جهنم، وكم حارب الإمام هذه الفكرة القائلة أنّ أولاد النبي لن يدخلوا جهنم[1]. النبي نفسه قال لفاطمة الزهراء -وهي ابنته مباشرة- قال لها: «يا فاطمة إنني لن أغني عنك من الله شيئا».[2] اليوم يريدون إثبات أنني لا أذهب إلى جهنم -مع أنّ نسبي يصل إلى الإمام السجاد بعد ثلاثين واسطة- وذلك لأنني سيد وابن النبي! لقد قال النبي شيئاً آخر لفاطمة عليها السلام وقد ذكر الأئمة ذلك كثيراً. الخلاصة أنّه كان يوجد بعض الأشراف الذين يهتمون بملذات الدنيا. قال له أحضر أخيه من المدينة وهو يُدعى ابن الرضا أيضاً -وهو أيضاً من أبناء الإمام الرضا من دون واسطة- وجُرّه نحو الفحشاء والفجور وهذه الأمور. وبالفعل أرسلوا في طلبه، مع أنّ الموضوع كان سرّياً ولا يجب أن يعرف به الإمام، لكن اكتشفت تنظيمات الإمام هذا الأمر ووقف الإمام بنفسه مقابل أخيه، وعندما جاء أخوه حذّره وأخبره بخطة الأعداء وقال له لا تذهب إليهم. وقال أخوه -وكان إنساناً ضعيف

١. للاطلاع على هذا الموضوع أكثر مراجعة الفصل التاسع من كتاب «الحسين مسيرة متواصلة».

٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨، ص١٣٤.

الإرادة- بأنني لا أجرؤ على رفض طلبهم لأنهم دعوني لهذا الأمر. فقال له الإمام إذاً اعلم أنك لن تصل إليه، ويكتب التاريخ أنّ أخ الإمام هذا كان يذهب يومياً إلى دار الخلافة وهم يقولون له كل يوم إنّ الخليفة سكران أو نائم أو شرب خمراً أو دواءً. وبقي هناك مدّةً من الزمن حتى قتل الخليفة الذي كان قد طلبه وجاء خليفة آخر لم يكن يريد منه شيئاً ولم يُوفّق [في الوصول إليه كما قال له الإمام].[1] وأنا أظنّ أنّ تنظيمات الإمام كانت تخترق تنظيمات الخلافة وكان الحرّاس مأمورين بعدم السماح لهذا الرجل بالمرور والتّذرع بأنّ الخليفة سكران أو نائم أو ليس موجوداً أصلاً. وإلاّ فإنّ الخليفة لم يكن دائخاً كل يوم أو سكراناً بشكلٍ متواصل، نعم لقد كان يسكر لكن ليس بشكلٍ يوميّ. كان عبد الله هذا يأتي كل يوم ويقول لهم: إنّ الناس يدخلون ويذهبون، لكنهم يجيبونه قائلين: كلّا، الخليفة ليس موجوداً، إنه نائمٌ أو سكرانٌ أو متعبٌ، ولا يسمحون له بالدخول. أنا أظنّ أنّ التنظيمات [الخاصة بالإمام] كانت واسعة وممتدة إلى هناك.

في قضية أبو العديان التي تُذكر على المنابر كثيراً وربّما تكون قضيةً صحيحة، عندما طلب منه الإمام العسكري بأن يذهب إلى المكان الفلاني ويعود إليه، ثم أخبره بمسألة إمام الزمان، هنا ذهب أبو العديان إلى المدائن وجمع من شيعة المدائن أموالهم وما يجب أن يدفعوه وأحضرها إلى الإمام العسكري.[2] أين تقع المدائن؟ جنوب بغداد وسامراء، أي عاصمة الخلافة. لقد كان ذلك المكان مركز التشيع، وذلك بسبب قوة التنظيمات. خلاصة الأمر، هؤلاء الأئمة الثلاثة وصلوا إلى ذروة النشاط في الأيام الأخيرة وكانت هناك تنظيمات تعمل معهم وهذه القضايا غامضة طبعاً.

١. إرشاد الشيخ المفيد رحمه الله، ج٢، ص٣٠٧.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٧٥.

بداية التنظيمات الشيعية السرية منذ زمن الإمام الحسن عليه السلام

متى بدأت هذه التنظيمات؟ ومن أسّسها؟ من أوجد هذه السلسة الطويلة؟ يُشير التاريخ إلى أنّ الإمام الحسن المجتبى هو من فعل هذا. كان الشيعة موجودين قبل عصر الإمام الحسن، الشيعة أي الذين كانوا ينظرون إلى الإسلام من وجهة نظر أمير المؤمنين عليه السلام، كانوا موجودين منذ زمن الرسول. «أنت وشيعتك هم الفائزون»[1] النبي صلى الله عليه وآله هو من قال هذا الحديث ويُفهم من ظاهره أنهم كانوا موجودين في ذلك الزمان. وبعد حادثة السقيفة الأمر واضح، فقد كان الشيعة موجودين، ولم يكن وجودهم خفي وسري، ولم يكونوا في حالة تقية، لم يكونوا مستترين أصلاً. لم يكن الشيعة في حالة استتارٍ مطلقاً في زمن الخلفاء الثلاثة. كان أبو ذر يُظهر حمايته علناً، وكذلك عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود والآخرون كانوا يظهرون دعمهم علناً لأمير المؤمنين وأنه هو من يستحقّ الخلافة والآخرون لا يستحقونها.[2] في زمن الإمام الحسن بدأت هذه الجماعة بالعمل سرًا؛ ومنذ ذلك الوقت حفر هذا النقب. هناك نرى أشخاصاً من الشيعة يتظاهرون بعدم التشيع، طبعاً عدم تظاهرهم ليس مثل الأزمنة اللاحقة، فكان أخف وطأة، وكانوا شيعةً معتقدين، [لكنهم] كانوا يُفكرون في استعادة الحقّ.

---

١. أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله، ص٥٥١.

٢. بعض الشواهد:
الف) أباذر: شرح الأخبار، ج٢، ص٤٩٩-٥٠٠.
ب) ابن مسعود والآخرون: بحار الأنوار، ج٢٨، ص٢٠٨-٢١٤.
سليمان بن صرد كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأنصار أمير المؤمنين عليه السلام سكن في الكوفة بعد وفاة النبي وكان مع الإمام في حرب صفين والنهروان. كان من الذين دعوا الإمام الحسين عليه السلام ومن قادة قيام التوابين. راجع: الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢١٩-٢٢٠.

هـذه هـي الجملـة التـي أشـرتُ إليهـا وهـي منقولـة عـن طه حسـين: بعـد أن تـمّ الصلـح وعاد الإمام إلـى المدينـة -وقـد عاد بعـد بدايـة الخلافـة بسـبعة شـهور كحـدٍ أقصـى وهنـاك خـلافٌ علـى المـدة- جـاء شـخصان مـن كبـار الشـيعة أحدهـما هـو سـليمان بـن صـرد الخزاعي والآخـر، بشـير الهمدانـي، لا أذكر اسـمه جيـداً- لقـد رأيـت اسـمه اليـوم لكـن ذاكرتـي ضعفـت كثيـراً- هـذان الشـخصان رجعـا مـن الكوفـة إلـى المدينـة، لـم يكونـا فـي المدينـة لحظـة الصلـح بـل كانا فـي الكوفـة -ربـما كانـا يحرسـان الحـدود، أو أنهـما حاكمان فـي منطقـة ما، هذه الأمـور ليسـت واضحـة، لكنهـما لـم يكونـا فـي الكوفـة إجـمالاً. لـم يكونـا وسـط الأحـداث ولـم يريـا ما حصـل عـن قـرب. قالـوا لـه يـا ابـن رسـول الله! أيهـا الإمام! نحـن مسـتعدّان لنعيـدك إلـى الكوفـة، سنسـبقك ونُخـرج الحاكـم منهـا، ونُرتّب الأوضـاع كـي تدخـل أنـت منتصـراً إلـى هنـاك. يقـول طـه حسـين هـذه الجملـة، -وعنـدما قلـت أنهـا مذكـورة فـي التاريـخ قصـدت جميـع التواريـخ- يقـول طـه حسـين أنـه فـي ذلـك اليـوم الـذي سـمع فيـه الإمام هـذا الاقتـراح مـن سـليمان بـن صـرد جلـس معـه فـي اجتـماعٍ خـاص مـع ذلـك الشـخص الثانـي، وعنـدما خرجـا مـن عنـد الإمام، كان غضبهـما قـد خمـد. كانـا قـد هدئـا ولـم يتكلـما بشـيء عـن هـذا الموضـوع، وقالا لأصحابهـم لنعـد إلـى الكوفة. هـذا هو الشـاهد؛ يقـول طـه حسـين -وأنـا أؤيـد هـذا الاحتـمال بشـدة بعـد المطالعـات التـي قمت بهـا فـي هـذا المجـال ويوجـد الكثيـر مـن الشـواهد الدالـة علـى هـذا الأمـر فـي كلـمات الإمام- يقـول أظـن أنّ نـواة حـزب التشـيع الأساسـية وُضعـت فـي تلـك الجلسـة بيـن الإمام الحسـن وسـليمان[1].

عنـدما نقـول حزبـاً سياسـياً لا يخطـر علـى بالكـم فـوراً بأنـه عنـدما يُقـال بـأنّ الشـيعة حـزب سياسـي أي ليـس لديهـم أسـاسٌ مذهبـي؛ لا، ماذا يعنـي السياسـي فـي الإسـلام؟ إن السياسـة فـي قلـب الديـن فـي الإسـلام. المسـائل

١. الفتنة الكبرى، علي وبنوه، طه حسين، ص١٨٩.

المتعلقة بالحكومة وقيادة الأمة وشكل المجتمع وإدارة الأمة، هذه كلها موجودة في عمق الدين. المسائل السياسية يعني نفس المسائل الدينية في الدرجة الأولى. إذاً حزب الشيعة السياسي أي الحزب الذي لديه أنشطة سياسية مصبوغة بصبغة إسلامية؛ [حزب] لديه فهم خاص عن الإسلام أخذه من النبي عن طريق الإمام علي؛ ولديه تصور خاص عن المسائل الإسلامية. يقول: حزب الشيعة السياسي -أي الحزب الذي لديه أنشطة سياسية وقد واجه حكومات ذلك العصر ليوصل أهل البيت إلى الحكم- زُرعت بذرته في هذا الاجتماع الذي عقد هنا. هذا ما يقوله طه حسين وهذا كلام صحيح جداً.

ويؤيّد هذا الكلام أيضًا الكاتب العراقي المعاصر لنا والذي كتب عن الإمام الحسن كتاباً[1] -باقر شريف القريشي؛ والذي نقلتُ عنه جملة في ذلك اليوم حول تعدد الزوجات وأنّ المنصور هو من صنع هذه الإشاعة.[2] إنه شخصٌ متبحّر ضليع في مسائل الإمام الحسن عليه السلام. وأنا أؤيّد هذا الأمر مع وجود الشواهد والقرائن في هذا المجال.

الكنايات في تعابير الإمام الحسن عليه السلام حول أسباب الصلح

يسألون الإمام الحسن لماذا صالحت؟ -كان البعض يعترضون على الصلح؟- كان الإمام يُجيبهم بشكلٍ عام، لأنّ مثل هذه المسألة لا يمكن الإجابة عليها بشكلٍ واضح، ماذا سيقول الإمام؟ يقول لقد صالحت من أجل تأسيس حزب سياسي ومحاربة معاوية بشكلٍ خفي. هذا الأمر يشبه وضع لافتة على باب مقر مكتوب عليها الحزب الفلاني السري! لا ينبغي للإمام أن يُخبر الجميع بتشكيل حزب سري. قال الإمام -مشيراً

١. حياة الإمام الحسن عليه السلام.

٢. حياة الإمام الحسن عليه السلام، ج٢، ص٤٥٢-٤٥٤.

إلى سبب الصلح- «سبب صلحي مع معاوية هو لنفس سبب صلح جدي رسول الله لبني ضمرة»؛[١] نفس السبب الذي جعل الرسول يعقد الصلح مع كفار قريش وكفار مكة في العام السادس للهجرة -نفس كلمة الصلح- ويتصالح معهم، ذلك السبب جعلني أعقد الصلح نفسه مع معاوية، ماذا فعل النبي في الحديبية؟ لقد قال الله عن صلح الحديبية في القرآن: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[٢]. لقد عقد النبي اتفاقًا مع كفّار قريش، اتّفاقاً جعل المسلمين المتواجدين في ذلك الاجتماع يتضايقون منه إلى حدّ اعتراضهم على النبي بصراحة، لقد شكّ البعض في دينهم بسبب اعتراضهم[٣]. لقد عقد النبي اتفاقًا مع هؤلاء؛ أحد الأمور التي تم الاتفاق عليها ضمن العقد هي أنه إذا جاء أحد من كفار قريش إلى النبي، يُعيده النبي إلى الكفار لكن إذا وقع أحد المسلمين في أسر الكفار يحقّ لهم أن لا يعيدوه إليهم. اعترضوا على النبي؛ ماذا يجب أن يقول النبي جوابًا على هذه الاعتراضات؟ يجب أن يُقنعهم بشكلٍ ما، قال لهم بأنّ هذا أمر [إلهيّ]. ويُسجّل التاريخ أنّ عدد المسلمين الّذين أسلموا بين هذين العامين -وقع صلح الحديبية في السنة السادسة[٤] للهجرة وكان فتح مكة في السنة الثامنة[٥] للهجرة- كان ضعف عدد المسلمين الذين أسلموا من يوم المبعث إلى ذلك اليوم.[٦] في غضون عامين، هذا كله بسبب بركة الصلح، فقد كان له منفعة كبيرة. وخلاصة الكلام حول هذا

١. بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢.
٢. الفتح، ١.
٣. صحيح البخاري، ج٤، ص٧٠؛ شرح الأخبار، ج٢، ص٥٢-٥٣؛ بحار الأنوار، ج٣٠، ص٥٦٢-٥٦٣.
٤. الاستيعاب، ج١، ص٤٣؛ إعلام الورى، ج٣، ص٢٠٣-٢٠٥؛ بحار الأنوار، ج٨٩، ص٦٧.
٥. تاريخ خليفة، ص٤١؛ مروج الذهب، ج٢، ص٢٩٠؛ بحار الأنوار، ج٢٠، ص٢٩٨.
٦. أمتاع الأسماع، ج١، ص٢٩٢.

الصلح هو أنّ الله يقول عنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. يذكر في التفاسير أنّ الفتح المبين هو صلح الحديبية[1]، ويقول الإمام الحسن إنّ سبب صلحي مع معاوية هو هذا.

سبب اختيار الصلح من طرف الإمام الحسن عليه السلام

والآن نصل إلى تلك النقطة من موضوعنا والتي لم نُكملها بالأمس. قلت أنّ الإمام الحسن لم يمكن له أن يكون شهيداً، لو واجه الإمام الحسن معاوية في ميدان الحرب، لم يكن حاله خارجاً عن أمرين؛ [مع وجود] عدم التوازن في القوى الذي أوضحته سابقاً، إضافةً إلى فساد الجو الاجتماعي عند الإمام الحسن وصلاحه عند معاوية؛ وذلك بسبب الأساليب غير الإنسانية التي يتعامل بها معاوية، إعطاء الرشاوى، والكذب، والبهتان، ونشر الإشاعات الكاذبة والخداع؛ بينما يرى الإمام الحسن أنّ هذه الأعمال مخالفة للأصول ولا يأتي بمثلها. مع الالتفات إلى المواقف التي ذكرتها في ذلك اليوم بالتفصيل، لو دخل الإمام الحسن في حربٍ مع معاوية مع ذلك العدد القليل، لكانت النتيجة إحدى هاتين الحالتين: إمّا ألا يقتل الإمام الحسن في تلك الحرب ويبقى حياً وإمّا أن يقتل ويفارق الحياة. وإذا بقي على قيد الحياة فذلك لا يعني الفتح والانتصار، بل كان سيقع في الأسر؛ أو يُجبر على الاستسلام عندما لا يبقَ معه أحد. عندها كان معاوية سيأسر الإمام الحسن في ميدان الحرب -على فرض أنه لم يقتل- ويدخل إلى مدينة الكوفة فاتحاً منتصراً. أو كان سيحرره في سبيل الله ويُعلن عن ذلك. وعندها سيكون الإمام الحسن -في نظر الأمة الإسلامية في ذلك الزمان- غارقاً في فضل معاوية، لقد حرره، مع قدرته على قتله لكنه لم يفعل ذلك. أو سيحصل بينهما اتفاقٌ على الصلح في النهاية، مهما كانت

١. جامع البيان، ج٢٦، ص٨٩-٩٠؛ جامع البيان، ج٩، ص١٨١-١٨٢؛ بحار الأنوار، ج٢٠، ص٣٤٥.

الصورة التي تفترضونها، نستطيع اختصارها جميعاً في هذا البيان، كان معاوية سيعقد صلحاً مع الإمام الحسن في النهاية لكنه سيكون الغالب فيه بسبب انتصاره في ميدان الحرب، وكان سيضع الشروط التي يريدها في ذلك الاتفاق وكان الإمام مجبوراً على الموافقة. وهذا الاحتمال طبعاً في حال لم يقتل الإمام في ميدان الحرب أو لم يستسلم في اللحظات الأخيرة أو يُجبر على الاستسلام ويقع في الأسر. وهذا احتمالٌ ضعيف أيضاً، لأنّ الإمام لم يكن ليستسلم في النهاية في حال دخل في حرب. أو كان سيقتل الإمام، وقتله يعني قتل أخيه الحسين قبله، نعم، فالحسين لن يقبل بذهاب الإمام الحسن إلى الحرب ما دام هو موجوداً. فالحسين هو أخ الإمام الأصغر وهو تابعٌ له ومتّبعٌ له في كل صغيرة وكبيرة، والإمام هو الإمام الحق وحجة زمانه على الحسين وجميع الناس. وقد رأينا بأنّ الإمام الحسين قد أكمل مسير الإمام الحسن حتى بعد عشر سنواتٍ من رحيله. كان الحسين سيقتل ويقتل إخوته، وأصحابه الأوفياء -أي زبدة الشيعة، المنتخبين من الشيعة- سيقتلون جميعاً، كان حجر بن عدي[1] سيقتل، وعدي بن حاتم[2]، والميثمون[3]، وباقي الرجال المعروفين مثل رشيد

١. حجر بن عدي بن جبلة الكندي (تاريخ الاستشهاد ٦١ هـ)، من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله ومن صحابة الإمام علي عليه السلام الخواص، ومن مشايخ الكوفة. أثناء خلافة معاوية انتفض ضده في الكوفة وقد استشهد بأمر معاوية خلال دفاعه عن ولاية الإمام علي عليه السلام .

٢. عدي بن حاتم الطائي (٦٧ هـ) من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ، ورئيس قبيلة طي. اشتهر والده حاتم الطائي بكرمه الكبير في الجاهلية. كان في عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانبه في كل المشاهد، كما بقي معهم أثناء خلافة الإمام الحسن عليه السلام . وكان يؤكد على محبته للإمام علي عليه السلام أمام معاوية علناً.

٣. ميثم التمار الأسدي الكوفي مولى أمير المؤمنين عليه السلام المحرر، ومن أصحاب الإمام علي عليه السلام ، والإمام الحسن المجتبى عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام الذي استشهد في الكوفة قبل واقعة كربلاء. لا توجد معلومات واضحة عن تفاصيل حياة ميثم. كان يبيع التمر في الكوفة. وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبره ببعض النبوءات. صُلب بأمر ابن زياد

الهجري وآخرين، وكان الإمام الحسن سيقتل مع القتلى. ثم يبقى معاوية مع مجموعة من الناس الذين درّبهم على الحركة خلاف الإسلام وروحه. كان قد ملأ عقول وأرواح أهل الشام بأنواع الكذب والاحتيال، بعض هؤلاء الناس صار من خواص الحكومة ونخبها، وهناك عامة الناس الذين يتلوّنون عادة بلون حكومتهم، ويستسلمون لها، ويتأثرون بأفكارها، فإذا لم تكن عبارة «النّاس على دين ملوكهم» حديثاً فهي أمرٌ واقعي؛ هذا أمرٌ طبيعي. ومعاوية الذي يُعادي الإسلام ونبي الإسلام، ويتضايق من ذكر اسم النبي ويتأذّى منه وجد الفرصة طوال السنين التي تلت شهادة الإمام الحسن -أي خلال العشرين سنة التي عاشها فيما بعد- لتفسير الإسلام وتبريره كما يحلو له. والإسلام الذي كان سيصل للأجيال اللّاحقة لم يكن إسلاماً مشبعاً من نبع الوحي فقط. لقد انقطعت علاقة الأجيال اللّاحقة بأهل بيت النبي -وهم العارفون بالإسلام بشكلٍ حقيقي- بشكلٍ تام. وعندها سيعرف الإمام الحسن في التاريخ على أنه شخص متمرد مع الأسف ومع أنه كان ابن النبي وكنا نحترمه، لكن ماذا نفعل إذ تمرّد وأجبرنا على قتله رحمة الله عليه، ولعُرف اسم الإمام الحسن في التاريخ بهذا الشكل، ولكنتم اليوم تعرفون الإمام الحسن على أنه شخص متمرّد مثلما يعتبر العامة وأهل السنة مالك بن نويرة[1]. مالك بن نويرة الذي قُتل[2] في أوائل خلافة أبي بكر على يد خالد بن الوليد بسبب خلاف شخصي -كان بينهما سابقاً- واعتبر من أهل الردة[3] ونحن نعرفه لأنّ

وقطع يديه وقدميه ولسانه. يقع ضريح ميثم التمار بالقرب من مسجد الكوفة.

١. . كان مالك بن نويرة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وموكله في جمع صدقات قبيلته. قام خالد بن الوليد بقتله وعاشر زوجته في نفس الليلة دون أن يراعي عدة الوفاة. راجع: الاستيعاب، ج٣، ص١٣٦٢

٢. الردة، ص١٠٥-١٠٨.

٣. تطلق على الحركات التي حصلت في زمن أبو بكر في عامي ١١ و١٢ هـ بعد وفاة

أميـر المؤمنيـن وبعـض الشـيعة كانـوا هنـاك، لكـن إخواننـا مـن أهـل السـنة لا يعرفونـه، يظنـون أنـه رجـل متمـرّد خـارج [علـى الحكـم]، [ففـي تلـك الحـال] لـكان الإمام الحسـن مثلـه.

أو لنقـل بشـكلٍ أوضـح فـإنّ الإمام الحسـن كان سيُعتبر مثـل زيـد بـن علـي بالنسـبة للشـيعة فـي مثـل هـذه الأيـام. وأحـد ذنـوب كاتبـي وناقلـي تاريـخ آل محمـد هـو خيانـة جوهـرة أهـل البيـت هـذه، زيـد بـن علـي بـن الحسـين عليه السلام الشـهيد الـذي أخبـر النبـي صلى الله عليه وآله عـن شـهادته[1] وسـمّاه باسـمه وذكـر الأئمـة اسـمه، أميـر المؤمنيـن والأئمـة مـن بعـده جميعهـم ذكـروا زيداً ومدحـوه بـما فيهـم الإمام الثامـن[2]. وهـو معـروفٌ الآن بيـن النـاس الذيـن سـمعوا اسـمه -كثيـرون منكـم ربـما لـم يسـمعوا باسـمه أصـلاً- ويذكرونـه ويقولـون أنـه ثـار وقام عبثـاً، وفـي وقـت غيـر مناسـب، ثـم قُتـل، رحمـه الله وسـامحه! إذًا لكانـت قضيـة الإمام الحسـن هكـذا أيضـاً. الإمام الحسـن صـار كـما يقـول المرحـوم العلامـة آل ياسـين رضي الله عنه - وهـو أفضـل مـن أزال النقـاب عـن وجـه الإمام الحسـن وأوضـح الصلـح وبيّنـه، وأفضـل مـن كتـب فـي هـذا المجـال- يصبـح الإمام الحسـن علـى حـد تعبيـره المقتـول عبثًـا الـذي قتـل علـى أيـدي رجالـه

الرسول صلى الله عليه وآله ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:
الأشخاص الذين ادعوا النبوة مثل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي.
الأشخاص الذين ارتدوا عن دينهم مثل الأشعث.
الأشـخاص المعترضـون علـى اختيـار أبـو بكـر للخلافـة بعـد النبـي وامتنعـوا عـن تقديـم الـزكاة لمبعوثـي الخليفـة مثـل مالـك بـن نويـرة. راجـع: الـردة، الواقـدي.

١. السرائر، ج٣، ص٦٣٨؛ بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٩٢.

٢. بعض الشواهد:
أ) في بيان أمير المؤمنين عليه السلام: التشريف بالمنن في التعريف بالفتن، ص٢٤٤.
ب) في بيان الإمام الصادق عليه السلام: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢٥٢-٢٥٣.
ج) في بيان الإمام الرضا عليه السلام: بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٧٤-١٧٥.

وأصحابه[1]. كذلك معاوية كان يرغب في هذا الأمر وقد أجبر البعض على الهجوم عليه وقد هاجموه عدة مرات لكنهم لم يستطيعوا تحقيق مآربهم.

لو قُتل الإمام المجتبى، لما بقي هناك ذكرٌ للإسلام وفي حال ذُكر فقد كان معاوية بن أبو سفيان هو شخصية الإسلام الأولى. وأنتم تعرفون بأنّ الإسلام الذي تكون شخصيته الأولى أو رجله الأول أو الثاني هو معاوية بن أبي سفيان، يكون الإسلام الذي أسست نواته في القصر الأخضر، ولكان الإسلام الذي يؤسس بنية فكرية وفلسفية للعنصرية والفئوية والاختلافات الطّبقية، أي ذلك الإسلام الذي يدعم الظلم، ويدعم السلطات المتجبّرة والطاغية والغاصبة، هو الذي سيبقى للبشرية.

وقد كان الإمام الحسن يرى كل هذه الأمور بشكلٍ واضح، وكان يؤسفه أن يترك العدو في الميدان بلا منازع؛ العدو هو معاوية، وليس يزيد الأحمق؛ معاوية السياسي، الناضج، المخضرم، مع كل تلك الأساليب العجيبة التي كان يستعملها. هذا هو عدوه وليس يزيد الشاب الحدث البسيط. وفي عصر لم يكن الشيعة قد تشكلوا فيه بعد ولم ينفصلوا عن عامة المسلمين كفريق خاص له اتجاه وهدف خاص، كما أصبحوا لاحقًا في عصر الإمام الحسين. لو قُتل الإمام الحسن في ميدان الحرب لم يبقَ هناك حجر بن عدي، حجر هو من فتح تلك الأرض وقد تم قتله فيها بالسّيف[2] وهو مقيّد اليدين ولم يكن ليثير قتله [حينها] ضجّة في عالم الإسلام ولم يكن ليشكّل وصمة عارٍ على بني أمية وعلى جبين معاوية[3]، لقُتل حجر بن عدي في ميدان الحرب مثل أيّ جنديّ عادي.

١. صلح الإمام الحسن عليه السلام، ص٢١٧-٢٢٢.

٢. الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٤١-٢٤٣.

٣. بعض الشواهد:
الف) اعتراض الإمام الحسين عليه السلام: الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٠٣.

الإمام الحسن كان يرى كل هذه الأمور، لذا لو قُتل الإمام الحسن في مثل هذا الوضع لما كان شهيداً. الرجل الذي لا يهب قتله الحياة ولا يكون موته مفيداً لبقاء مدرسته، يجعل العدو أكثر جرأة، ويترك له الميدان بلا منازعٍ ولا معارض، الموت بهذا الشكل لا يسمّى شهادةً في الإسلام. الشهادة هي موتٌ يهب الحياة؛ أي وهب الروح ونفخ الروح في المجتمع؛ لا أن يقتل الإنسان في ميدانٍ ما ولا يبق بعده شخصٌ واحد لينقل فكره ورسالته إلى العالم. وهذا هو وضع الإمام الحسن، لو رحل لبقي معاوية هو وصولاته المتمادية، لبقي هو وكفره وإلحاده وعداوته للنبي أيضاً.

عداوة معاوية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله

وكما قلت كان معاوية سيبقى هو الشخص الأول، مع أنّ اسم النبي مذكور في القرآن: «ما كان محمّد أبا أحدٍ من رجالكم»[1]. وكان سيمحو اسم النبي من القرآن طبعاً؛ فقد كان معاوية عدو النبي بل مخالفاً له [ولفكره].

شاهد هذه القضية هو المغيرة بن شعبة، رفيق وناصر وشريك معاوية في جرائمه. يقول ابن المغيرة بن شعبة كنت قد ذهبت مع أبي إلى الشام، كان قائداً لدى معاوية وقد أرسله إلى هناك كهدية له على جرائمه، كان قادماً إلى معاوية لإنجاز بعض المهام معه وليعطيه تقريراً ويتلقى أوامر وأمورٍ أخرى. يقول -مطرف ابن المغيرة- عندما كان أبي يخرج من عند معاوية، كان يقول ما أذكى هذا الرجل وما أدهاه، وأكثر من مدحه ..! في إحدى الليالي جاء من عند معاوية متضايقاً، وقد تغيرت حاله، قلت ما الخبر، قال ما أخبث هذا الرجل! الويل لمن يصفه

ب) اعتراض عائشة: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٣١.

ج) سخط حسن البصري؛ تاريخ الطبري، ج٥، ٢٧٩.

١. الأحزاب، ٤٠.

المغيرة بالخبث! فالمغيرة نفسه شيء عجيب. رجل فاسد رذيل لا يهمه شيء، مفسد مذنب وهو عجيب. قال «جئت من عند أخبث الناس». قلت ماذا حصل؟ لا ينبغي للمغيرة أن يقول لابنه كي لا يسجله التاريخ، لكنه كان متضايقاً مما حصل ولم يستطع أن يُبقيها في سرّه وأُجبر على أن يبوح بسرّه لأحد وكان ابنه أقرب الناس إليه. يقول عندما جلست معه لوحدي قال لي بشكلٍ خاص: يا مغيرة! مَلَكَ أخو تَيمٍ فَعَدَلَ وفَعَلَ ما فَعَلَ، فَوَ اللهِ ما عَدا أن هَلَكَ فَهَلَكَ ذِكرُهُ، إلّا أن يَقولَ قائِلٌ : أبو بَكرٍ . ثُمَّ مَلَكَ أخو عَدِيٍّ، فَاجتَهَدَ وشَمَّرَ عَشرَ سِنينَ، فَوَ اللهِ ما عَدا أن هَلَكَ فَهَلَكَ ذِكرُهُ، إلّا أن يَقولَ قائِلٌ : عُمَرُ . ثُمَّ مَلَكَ أخونا عُثمانُ، فَمَلَكَ رَجُلٌ لَم يَكُن أحَدٌ في مِثلِ نَسَبِهِ، فَعَمِلَ ما عَمِلَ وعُمِلَ بِهِ، فَوَ اللهِ ما عَدا أن هَلَكَ فَهَلَكَ ذِكرُهُ، وذِكرُ ما فُعِلَ بِهِ . وإنَّ أخا هاشِمٍ يُصرَخُ بِهِ في كُلِّ يَومٍ خَمسَ مَرّاتٍ : أشهَدُ أنَّ مُحَمَّدا رَسولُ اللهِ، فَأَيُّ عَمَلٍ يَبقى مَعَ هذا؟ لا أُمَّ لَكَ! وَاللهِ إلّا دَفناً دَفناً[1].

إدانة معاوية بمضمون صلح الإمام الحسن عليه السلام

أنتم تظنون أنه كان أقرب للمصلحة أن يؤدي الإمام الحسن إلى قتل نفسه والآخرين ويترك الميدان مفتوحاً لهذا؟ هل هذا أفضل أم أن يحكم معاوية ضمن صلح ليتسجّل ذلك في التاريخ أولاً، طبعاً بنود الصلح ليست مذكورة في التاريخ بشكلٍ صحيح؛ ليست مذكورة على شكل مصالحة وعقد؛ وفيها هذه الأمور: أولاً هكذا، ثانياً، هكذا، ثالثاً هكذا، إلى البند الأخير. لكن في كتب التاريخ المختلفة ذكرت أمورٌ كثيرة في هذا المجال على أنها من ضمن بنود الصلح، إلا أن ما اتّفق عليه في التاريخ هو أنّ معاوية أرسل ورقة بيضاء إلى الإمام الحسن وقال

١. مروج الذهب، ج٣، ص٤٥٤-٤٥٥؛ بحار الأنوار، ج٣٣، ص١٦٩-١٧٠؛ مع بعض الاختلاف في العبارة: أخبار الموفقيات، ص٥٧٦-٥٧٧.

لـه أكتـب ما تشـاء،[١] وكان قـد وقّـع فـي أسـفل الورقـة مسـبقاً. أكتـب الشـرط الـذي تريـده ما عـدا الحكومـة، وقـد كتـب الإمام الحسـن ما يريـد. هنـاك جملـة مهمـة جـداً منقولـة عـن العلامـة آل ياسـين حيـث يقـول: «فيـما يتعلّـق ببنـود الصلـح، فـإنّ كل بنـد يصـب فـي مصلحـة الإمام الحسـن يعتبـر ضمـن البنـود، وكل ما هـو فـي ضـرر الإمام الحسـن نتيقّـن بأنّـه ليـس مـن بنـود الصلـح. لأنّ الإمام الحسـن لـن يكتـب شـيئاً يضـره بـل سـيكتب لمصلحتـه»[٢].

بعض بنود الصلح

بنـود الصلـح كثيـرة، إذا أردت أن أشـرحها يجـب أن أتكلـم لمـدة سـاعة أخـرى حولهـا، وأعـرف أنّ الوقـت قـد فات. لكـن بالإجـمال يُصـرّح الإمام الحسـن بـأنّ اسـمك ليـس أميـر المؤمنيـن[٣]، لأنّ أميـر المؤمنيـن لقـبٌ خـاصٌ بخليفـة النبـي، فالمسـلمين كانـوا يُطلقـون اسـم أميـر المؤمنيـن علـى خليفـة النبـي منـذ زمـن عمـر[٤]؛ وفـي نظـر الشـيعة فـإنّ هـذا الاسـم خـاص بأميـر المؤمنيـن علـي بـن أبـي طالـب؛ ولا يقولـون لـلإمام الحسـن أميـر المؤمنيـن أيضـاً، ولـن نقـول لـك أميـر المؤمنيـن لأنـك لسـت الخليفـة بشـكلٍ رسـمي. وأنتـم انظـروا هنـا مـدى توافـق هـذا الـكلام مـع بيـع الخلافـة بـمال الدنيـا الـكلام الـذي قيـل حـول الإمام الحسـن. يُصـرّح الإمام الحسـن بأنـك لسـت الخليفـة، ويُصـرّح بـأن لا يحـقّ لـك التعـرض لحيـاة أحـدٍ مـن الشـيعة[٥]. يُصـرّح بـأن لا يحـقّ لـك أن تجعـل الخلافـة أمـراً موروثـاً لأبنائـك

١. تاريخ الطبري، ج٥، ص١٦٢؛ تجارب الأمم، ج١، ص٥٧٣.
٢. علل الشرائع، ج١، ص٢١٢؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢-٣.
٣. أنساب الأشراف، ج١٠، ص٣٢١؛ تجارب الأمم، ج١، ص٤١٤.
٤. آمالي الشيخ الصدوق رحمه الله، ص٣٥٧؛ بحار الأنوار، ج٣٥، ص٢٦١
٥. الفتوح، ج٤، ص٢٩١؛ إرشاد الشيخ المفيد رحمه الله، ج٢، ص١٤؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٤٨.

وعائلتك ولا يحقّ لك أن تعيّن الخليفة الذي سيأتي بعدك[1]. ويصرّح بأنّ الحكومة يجب أن تكون للحسن بعدك[2]، وإذا لم يكن حياً فهي للحسين[3]. وتكون الأرضية قد تهيّأت حتى ذلك الحين، كان يظن أنّ الأرضية ستتمهد حسب ما تجري الأمور الظاهرية. عندما ينظر أحدهم إلى بنود الصلح سيرى أنّ الإمام الحسن قد أعلن بصراحة في التاريخ بأن أيها الناس الذين ستأتون فيما بعد وتسمعون بالإسلام وتتعرفون على حياة معاوية من بعيد، اعرفوا أنّ معاوية ليس الخليفة. إذا أراد أحدٌ أن يرسل هذه الرسالة خلال مدّة زمنية طويلة فهل يوجد طريقٌ لذلك أفضل من الصلح؟ الصلح الذي ستحفظه الخلافة الأموية بنفسها لكي تُحافظ على وثيقة صلح معاوية مع الإمام الحسن. وضمن هذا الصلح يصرّح الإمام بأنك لست الخليفة ونحن لا نعترف بك. ويصرّح بأنّه لا يحق لك تعيين خليفة من بعدك وقد عيّن معاوية خليفة له وحكم عليه في التاريخ بسببه[4]. وباقي تفاصيل الصلح وهي طويلة جداً كما قلت لكم سابقاً.

«وقف إطلاق النار» تعبيرٌ مناسب أكثر من الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية

وقّع الإمام على هذا الصلح، وأوقف الحرب، لكن بعنوان وقف إطلاق النار. وقف إطلاق النار ليس تعبيري أنا بل تعبير أحد علماء الشيعة القدماء، المهادنة حسبما جاء في كلمات الصدوق[5] أو أبيه. اليوم عندما

---

١. أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٢؛ كشف الغمة، ج١، ص٥٧٠؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٦٥.

٢. الإمامة والسياسة، ج١، ص١٨٤.

٣. عمدة الطالب، ص٦٧.

٤. الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٩٧-٢٠٤.

٥. علل الشرائع، ج١، ص٢١١.

تحصل هدنة بين الفيتكونغ[1] وأعدائهم من أجل العيد الفلاني، أو عندما تحصل هدنة بين جبهتين، ماذا يعني؟ أي أنّ أحدهم تنازل عن أهدافه من أجل أهدافه؟ أم لا، فالهدنة هي درع مقابل العدو لتدارك مصالح جديدة. لقد كان صلح الإمام الحسن هدنة، عقدت بينه وبين معاوية وهذا هو خلاصة الكلام.

فوائد وقف إطلاق النار بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية

لقد فُضح معاوية في التاريخ بسبب الصلح؛ بهذا الصلح بقي أكبر عدو لمعاوية -أي الإمام الحسن وأقوى عدو له- حياً للاستمرار في مواجهته؛ تشكّل حزب الشيعة وتهيّأت الأرضية للثورات اللاحقة ولانقراض حكومة بني أمية؛ والخلاصة أنّ علاقة الأجيال القادمة بقيت محفوظة بالإسلام ووجه القرآن الحقيقي وأمكن لي أن أجلس هنا اليوم وأفسّر آية من القرآن أو أذكر جملة صحيحة من التاريخ الإسلامي -أنا أو أيّ أحدٍ آخر- للأجيال المقبلة، هذا هو صلح الإمام الحسن. ومن هنا نعرف أنّه عندما ذكر اثنين من علماء القرن الثالث للهجرة صلح الإمام الحسن تحت عنوان قيام الحسن وذلك في كتابين مختلفين، نعرف هنا أنهما فهما الأمر بشكلٍ صحيح.

إلهي! بحق محمد وآل محمد عرفنا بمعارف القرآن أكثر. نسألك اللهم وندعوك باسمك العظيم الأعظم يا الله، يا الله، يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله، بمحمدٍ وآل محمد إلهي! افتح قلوبنا على الحقائق. الهي! أبعد يد التحريف عن المسلمين. إلهي! ألهمنا الفهم واليقظة والبصيرة الكاملة حول حقائق مدرسة الإسلام ومعرفة وجوه أهل البيت عليهم السلام.

وعجّل في فرج مولانا

---

١. جبهة التحرير الوطني لجنوب فيتنام.

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١. هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة

٢. المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن

٣. فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي

٤. الخارجون من الماء، كمال السيّد، رواية أدبية حول حياة المحرر من السجون الخليفية محمد طوق

٥. القادم من هناك، كمال السيّد، رواية أدبية حول حياة الشهيد القائد رضا الغسرة

٦. ألم وأمل، السيد مرتضى السندي، تجربة واقعية في السجون الخليفية

٧. فارس التحرير، أحمد العرب، حول الشهيد علي العرب

سلسلة نهج الولاية:

١. العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي

٢. الاستغفار والتوبة، الإمام الخامنئي

٣. التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي

٤. العبد الصالح، الإمام الخامنئي، رواية الإمام الخامنئي حول الإمام الخميني

٥. سيد شهداء محور المقاومة، قاسم سليماني

٦. عهد الأمير إلى المسؤول والمدير، شرح رسالة الإمام علي لمالك الأشتر، الإمام الخامنئي

٧. النفوذ في فكر الإمام الخامنئي

٨. الحياة بأسلوب جهادي، الإمام الخامنئي

٩. الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي

١٠. الثوري الأمثل، الإمام الخامنئي

١١. صلح الإمام الحسن عليه السلام، الإمام الخامنئي (هذا الكتاب)

سلسلة من داخل السجن:

١. التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور

٢. تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور

٣. الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٤. الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد

٥. يسألونك عن عاشوراء، الأستاذ محمد فخراوي

٦. رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٧. على ضفاف الحسين، الأستاذ محمد سرحان

٨. نشيد الشهادة، شرح وصية الشهيد القائد قاسم سليماني، الأستاذ محمد سرحان

٩. ماضون على دربك، قصص أسرى البحرين بعد استقبال خبر شهادة القائد قاسم سليماني

١٠. مرج البحرين يلتقيان، حياة الإمام علي وفاطمة الزهراء، الأستاذ محمد فخراوي

١١. خط الإمام الخميني، الشيخ جاسم المحروس

١٢. الإسلام دين الفطرة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

١٣. شقشقة المظلوم، شرح الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين عليه السلام، الشيخ زهير عاشور

١٤. إلى أحبتي، نصائح تربوية إلى الشباب، الشيخ زهير عاشور

١٥. وذكرهم بأيام الله، شذرات من فكر الإسلام المحمدي الأصيل، الأستاذ محمد سرحان

١٦. اللامنطق في الفكر والسلوك (مجلدين)، مواجهة النبي موسى لفرعون، الأستاذ عبدالوهاب حسين

١٧. رحيق كربلاء، الشيخ زهير عاشور

١٨. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

١٩. شمعة في وسط الظلام، الشيخ زهير عاشور

٢٠. إضاءات فكرية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٢١. فارس التحرير، أحمد العرب، حول الشهيد علي العرب
٢٢. مشكاة - فضيلة أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين، حسن مرهون

سلسلة تاريخ البحرين:

١. آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
٢. شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٣. الإبادة الثقافية في البحرين
٤. تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١. إضاءات فكرية
٢. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب
٣. اللامنطق في الفكر والسلوك، مواجهة النبي موسى لفرعون
٤. الإسلام دين الفطرة
٥. رسول الرحمة
٦. الإسلام والعلمانية
٧. الجمري في كلمات أمينه وخليله
٨. القدس صرخة حق
٩. إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام
١٠. قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام
١١. الدولة والحكومة
١٢. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني
١٣. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول
١٤. في رحاب أهل البيت عليهم السلام
١٥. الشهادة رحلة العشق الإلهي

كتب أخرى:

١. قافلة الخلود - شهداء البحرين
٢. عاشوراء البحرين ٢٠١٩
٣. كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي
٤. عاشوراء البحرين ٢٠١٨
٥. حصاد البحرين ٢٠١٧
٦. عاشوراء البحرين ٢٠١٧
٧. في رحاب مدرسة الإمام الخميني
٨. المهدوية في الفكر الولائي
٩. الحصاد السياسي ٢٠١٦

كتب باللغة الفارسية:

١. تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور
٢. بازخوانى خطبه هاى امام حسين (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، الأستاذ عبدالوهاب حسين
٣. بر آستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤. رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي
٥. گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٦. تاريخ سياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)
٧. بت شكن (رواية الخارجون من الماء)، كمال السيّد

أعتقد أنّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو أشجع شخصية في تاريخ الإسلام. نعم، قد تسألون هل هو أشجع من علي عليه السلام وأشجع من أخيه الحسين عليه السلام، الذي ضحّى بنفسه في ميدان الحرب الدموي بتلك التضحية العجيبة وأودى بحياته؟ نعم، الشجاعة الحقيقية هي أن يُقدم الإنسان على ما يتوافق مع مصلحة فكره وإيديولوجيته؛ حتى لو لم يفهم ذلك أحد. ولقد كان الإمام الحسن عليه السلام مستعداً للتضحية بنفسه واسمه وسمعته في سبيل المصلحة الحقيقية؛ كان راضياً أن لا يعرفوه في مقابل أن يتعرّفوا على الإسلام، وفي مقابل حفظ الإسلام. هذه هي خلاصة الموضوع بشكلٍ عام.

الموقع الرسمي

دار الوفاء للثقافة والإعلام